

لمحبة كتابي الكرم

بِقَيْدِكَ

الدكتور علي عبد الواحد وافي

ليسانس ودكتور في الآداب من جامعة باريس
أستاذ العلوم العليا وكلية الآداب بالجامعة المصرية وأقام تخصص بالآداب



الطبعة الثانية ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م

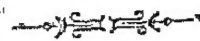
مقوق الطبع محفوظة للمؤلف

المختار من الشعر

بفتك

الدكتور علي عبد الواحد وافي

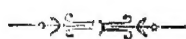
ليسانس و دكتور في الآداب من جامعة باريس
أستاذ بدار العلوم العليا وكلية الآداب بالجامعة المصرية وأقام تخصص بالآداب



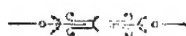
الطبعة الثانية ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م

مفوق الطبع محفوظة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ومن والاه .
أما بعد ، فهذه كلمة موجزة في الأزهر ونشأته والتطورات
التي حدثت له ، أرجو أن ينفع الله بها كما نفع بالأزهر نفسه .



مقدمة

١ — وظيفتنا الأزهر : الأزهر أشهر جامع إسلامي ،
وأقدم مسجد شيد بمدينة القاهرة . وهو كذلك أعظم
جامعة إسلامية لتدريس العلوم والفنون والآداب وأجل
معهد للعلوم الدينية . كانت ولا تزال تقصده الوفود من
جميع أنحاء العالم الإسلامي لتعلم العلم وللتفقه في الدين .

٣ - بناء الأزهر وما حدث فيه : لما تم للفاطميين

فتح مصر ودخل جيشهم قاعدة ملكها تحت قيادة جوهر الصقلي أرادوا أن ينشئوا مدينة جديدة تحاذي ذكرهم وتكون أثرا باقيا لا تتصارعهم وحصنا حربيا يعتصمون به . فأمروا قائد جيشهم جوهر بن إنشاء تلك المدينة فأنشأها سنة ٣٥٨ وسماها « المنصورية » . ولما انتقل العزيز بالله الخليفة الفاطمي من القيروان (التي كانت عاصمة ملك الفاطميين بالمغرب) وجاء مصر للاستيطان بها سنة ٣٦٢ هـ غير اسم المدينة وسماها « القاهرة العزيزية » .

وقد بادر جوهر بإنشاء الجامع الأزهر في هذه المدينة . وذلك لأمرين :- أحدهما أن أول ما كان ينشأ في مدينة إسلامية إنما هو الجامع الذي يجتمع فيه المؤمنون لأداء فريضة الصلاة ؛ والثاني أن الفاطميين يدينون بمذهب الشيعة : فأنشئوا الأزهر لنشر مذهبهم من جهة وليجمعوا به من جهة أخرى فلا يفاجئوا في بداية فتحهم جوامع أهل السنة بخطبتهم التي كانوا يقولون فيها « وصلى الله على الأئمة آباء

أمير المؤمنين المعز لدين الله .

وقد شرع في بناء هذا الجامع في يوم السبت ٢٤ من جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ وتم بناؤه في سنتين تقريبا . فان أول جمعة جمعت فيه كانت في شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ .

وفي سنة ٧٠٢ هـ حدث بمصر زلزال شديد هدم من الأزهر قسما كبيرا . فعمل الأمير سلار من رجال دولة المماليك البحرية (الذين خلفوا الدولة الأيوبية) على عمارة ما تهدم وتجديده .

وفي سنة ١١٦٧ هـ زاد في سعة هذا الجامع بمقدار النصف تقريبا الأمير عبدالرحمن كستخدا بن حسن جاویش القازوغلى (فى عهد الحكم العثمانى) .

وكان غالب الخلفاء والوزراء والأمرأ وذوى الجاه بالديار المصرية ، وبخاصة أعضاء الأسرة العلوية الكريمة ، يتنافسون فى تشييد هذا الجامع وتعميره وإنشاء الاروقة له لسكن المجاورين ، والحياض للغسل والوضوء ...

مما زاد في مساحته وجعله في سعته الحالية (١٢٠٠٠ ذراع تقريبا).

وللأزهر تسعة أبواب أشهرها الباب الذي ينتهى إليه شارع الأزهر ، وهو شامخ عظيم مرتفع ومنقوش على وجهته أيات موهبة بالذهب يشير آخرها إلى تاريخ بنائه وهو ١٦٦٧ هـ ، وهذه الايات هى : —

إن للعلم أزهرًا يتسامى	كسما ماطا ولها سما
حيث وافاه ذا البناء ولولا	منة الله ما تسامى البناء
رب إن الهدى هداك وآيا	تك نور تهدي به من تشاء
مذتناهى أرخت باب علوم	ونفخار به يجاب الدعاء

وهذا الباب من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتحدا ،
أما الباب الأصلى فخاف هذا الباب الجديد .
وقد أنشأ كذلك هذا الأمير فى تلك السنة المقصورة
الجديدة المعروفة « بالأيوان » . وهى مرتفعة عن أرض المسجد
الأصلى بنصف ذراع .

٣ — تسميته : اختلف المؤرخون فى سبب تسميته

بالأزهر . وأصح ما قالوه بهذا الصدد أن الفاطميين كانوا
ينتسبون للسيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول عليه الصلاة
والسلام وأنهم سموها جامعهم بالأزهر إشارة لاسم
الزهراء جدتهم .

الازهر باعتبارها مسجدا



يشتمل الأزهر على محل مسقوف للصلاة يسمى مقصورة وآخر غير مسقوف يسمى صحنًا ؛ وعلى هذا النمط كانت معظم المساجد في العصر الذي نبى فيه . — ويتبع هذين القسمين كثير من الملاحقات من حارات وأروقة ومكاتب ومنازل للطلبة ومرافق .

وتنقسم مقصورته قسمين : المقصورة الأصلية الكبيرة التي هي من إنشاء جوهر القائد نفسه ؛ والمقصورة الجديدة التي أحدثها الأمير عبدالرحمن كتحدا سنة ١١٦٧ هـ كما قدمنا . وسقف المقصورتين من الخشب المتقن الصنع .

أما صحنه فكان متسع غير مسقوف مفروش بالحجر كان يأوى إليه الطلبة للاستدفاء بحرارة الشمس عند اشتداد

البرد ، وينامون به في الصيف عند اشتداد الحر ، ويصلي فيه الناس عند ازدحام المقصورتين . ويحيط به من جهاته الأربع عقود قائمة على أعمدة جميلة من الرخام . وعلى حيطانه آيات قرآنية كتبت بخط كوفي جميل .

وكان به عشرة محاريب لم يبق منها في أوائل القرن العشرين إلا ستة . والمشهور منها اثنان : المحراب الأصلي القديم وهو بالمقصورة القديمة الأصلية ، والمحراب الجديد بالمقصورة الجديدة . وكان لكل محراب من هذين المحرابين امام خاص . وقد جرت العادة منذ زمن بعيد أن يكون امام المحراب القديم شافعي المذهب وإمام الجديد مالكيه .

وللجامع خمس منارات يؤذن عليها في الأوقات الخمسة وفي الأسحار وتوقد في ليالي رمضان والمواسم . ولم يكن له في الأصل عند تأسيسه إلا منارة واحدة . وقد جرت العادة قديماً ألا يؤذن على تلك المنارات إلا العميان محافظة على عورات المساكن المجاورة لها . وكان لا يؤذن المؤذنون إلا بتنبيه « الميقاتي » المعين للتنبيه على حلول أوقات الصلاة . لأن

أذان الأزهر كان يبنى عليه أذان بقية منارات القاهرة .
ويظهر من كلام المقرئ أن مناراته كانت توقد في
المواسم أيام الخلفاء الفاطميين بزينة باهرة حتى أن الخليفة جعل
بقصره منظره خاصة لمشاهدة الزينة سماها « منظره الجامع
الأزهر » .

وللجامع منبر واحد أقيم في المحراب الجديد . أما المنبر
الأصلي القديم الذي أنشئ في بداية تأسيسه فقد نقل للجامع
الحاكمي ، وله خطيب واحد غير الأمامين المذكورين آنفا
يخطب في الجمع والأعياد .

وقد كان الخلفاء الفاطميون يذهبون بأنفسهم للأزهر
في الجمع والأعياد ليخطبوا في الناس ويصلوا بهم . وقد
وصف صاحب النجوم الزاهرة وصباح الأعشى ركاب الخليفة
عند ذهابه للصلاة بالناس ، ومن كان يتبعه من خدم وحشم
وحاشية وقواد وجنود ، وما كان يعمل في المدينة وفي المسجد
احتفاء بقدمه ، وما كان يسبق خطبته ويعقبها ... وما إلى
ذلك ، فجاء وصفها هذا أكبر دليل على ما كان لخلفاء الفاطميين

من عظمة الملك، واتساع السلطان، وجلال الأبهة، وعلى ما كانوا عليه من الاهتداف بشعائر الدين والحذب على الاسلام والمسامين .
 وكان الأزهر في أول عهد الفاطميين المسجد الفذ بمصر الذي يخطب فيه الخليفة . فلما تم بناء الجامع الحاكى في سنة ٣٨٠ هـ صارت الخطبة مشتركة بينه وبين ثلاثة جوامع أخرى . فان الخليفة كان يخطب في الحاكى خطبة وفي الأزهر خطبة وفي جامع ابن طولون خطبة وفي جامع عمرو بن العاص خطبة .

فلما انتهت دولة الفاطميين وتولى صلاح الدين يوسف ابن أيوب سلطنة مصر سنة ٥٦٧ هـ وقاد وظيفة القضاء لقاضى القضاة صدر الدين بن درباس الشافعى عمل بمقتضى مذهبه الذى يحظر إقامة خطبتين في بلد واحد فنزع الخطبة من الأزهر وأقرها في الجامع الحاكى لانه كان أكثر اتساعا من الأزهر وقتئذ ، فان مساحة الأزهر كانت ١٢٠٠٠ ذراع ومساحة الجامع الحاكى ٣٦٠٠٠ ذراع . وظل الأزهر معطلا عن إقامة الجمعة مائة عام تقريبا . فلما استولى الظاهر

بيبرس الملك سنة ٦٥٨ رغب في إعادتها فلم يقره على ذلك ابن بنت العز الشافعي قاضي القضاة حينئذ ، فعزله السلطان وولى مكانه قاضيا حنفيا أذن في إعادتها .

هذا ، وقد كان للجامع الأزهر في نفوس المصريين منزلة دينية سامية ومكانة ممتازة لم يبلغ مثلها أى مسجد من مساجدهم ، يدلك على ذلك أنهم قد اتخذوه مثابة يلوذون بها كلما اشتد بهم خطب . فقد ذكر المؤرخون أن أتباع محمد بك الالفي (من أمراء الماليك) ظاموا أهل مدينة بلبس فجاءوا صارخين عائدتين بالأزهر ، نفخ شيخه وعلماءه لإبراهيم بك وهو حاكم القطر المصري حينئذ ، وطلبوا إليه رفع المظالم فأجيبوا إلى طلبهم ، وكتب القاضي حجة بذلك . وذكر المؤرخون كذلك أنه في سنة ١٢٢٠ هـ « أكل العساكر اللاتية (طبقة من العساكر الترك) الزرع ، وخطفوا من صادقهم من الفلاحين والمارين ، وأخذوا النساء للافساد ، فحضر الناس رجالا ونساء إلى الجامع الأزهر يستغيثون ، فخطب المشايخ وإلى مصر ، فكتب لللاتية بترك الدور لأهلها » .

الازهر باعتبارها معهداً للدراسة



كادت مواطن التعليم في صدر الاسلام تكون مقصورة على المساجد . ويرجع السبب في ذلك إلى أمور كثيرة أهمها مايلي : —

١ — كان الدين هو الدافع إلى العلم والتعليم ، وكانت مواد الدراسة لا تخرج عن العلوم الشرعية وما يتصل بها . فلم يجد المسلمون أما كن أصحاب لتعليم هذه العلوم من بيوت الله التي شيدت لإقامة شعائر الدين ، كما اختار أهل الكتاب من قبل الصوامع والبيع .

٢ — اشتهر الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم بالقصد في صرف أموال المسلمين وبمجانبة مظاهر الترف والتبذير . فعدلوا جهدهم على التقليل من بناء الدور الحكومية واتخذوا من المساجد مواطن لكثير من شئون الدولة ومصالح

المسلمين . ففيها كانت تقام الصلاة ، ويجلس الخلفاء والولاة والقضاة للفصل فى الدعاوى والحكم بين الناس وإقامة الحدود ، وبها كان يجتمع المسلمون للمفاوضة فى أمورهم التشريعية والسياسية وغيرها ، وبها كان يبايع الخلفاء ، وتبلغ وصياتهم ، وتعلن أوامرهم ، وبها كانت تلقى الخطب السياسية والحربية المتعلقة بسط حالة الأمة وما وصلت اليه جيوشها ، وفيها كذلك ابتداء التعليم .

وعلى الرغم من ظهور معاهد التعليم منفصلة عن المساجد فى عصر بنى أمية وبنى العباس ، ظلت المساجد محتفظة بصفاتها المدرسية فى كثير من البلاد الاسلامية أمدا غير قصير . فهذه فاسلطين ظلت مساجدها أهم معاهد التعليم حتى قبيل القرن العشرين . ولا يزال المعلمون فيها يحملون اسم الخطباء أو الأئمة ويؤدون كثيرا من وظائف رجال الدين . وكان الطلبة يجامع دمشق يلتفون حول معلمهم حاقيات ، كما أخبر ابن جبير . وهذه الاندلس ظلت مساجدها أظهر معاهد التعليم العالى حتى دالت دولة العرب فيها كما

روى المقرئ .

وهكذا كانت الحال بمصر في العصر الذي شيد فيه
الجامع الأزهر الشريف . فقد كان من أهم معاهد التعليم
فيها إذ ذاك جامعان : جامع عمرو بن العاص الذي بنى بمدينة
الفسطاط سنة ٣١ هـ عند ما فتح المسلمون بلاد مصر ،
وجامع أحمد بن طولون الذي بنى في منتصف القرن الثالث
الهجري .

فلم يكن بدعا إذن أن أصبح الجامع الأزهر معهدا
عاميا . ولم يعمل الفاطميون إذ أنزلوه هذه المنزلة شيئا أكثر
من السير على التقاليد المعمول بها في العالم الاسلامي في ذلك
الحين . وقد زاد من اهتمامهم بشأنه من هذه الناحية أنهم
رأوا فيه خير وسيلة لنشر مذهبهم الفاطمي ، ولصنع المصريين
بصبغتهم ديناً وسياسة ، ولتربية النشء على الولاء لهم
وتقديس مبادئهم . ولذلك أمر خلفاؤهم بتدريس مذهبهم
الفاطمي به . وشجعوا العلماء على النزوح إليه ، واختاروا
للتدريس به طائفة من أبعد فقهاء مذهبهم صيتا وأكبرهم

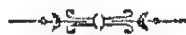
مكانة فى نفوس الناس ، وأجروا على من به من الأساتذة والتلاميذ الأرزاق المختلفة وشيدوا لهم المساكن ... كما سنذكر ذلك بتفصيل فى موضعه . وقد كان من نتائج هذه العناية أن نشأ المعهد الأزهرى عظيماً فبذ كل ماعداه من معاهد التعليم فى ذلك العصر .

هذا ، والبحث فى تاريخ الأزهر باعتباره معهداً للتعليم يتطلب دراسة الأمور الآتية :



أولاً - مواد الدراسة

فى الأزهر وما يتصل بها



تطور مواد الدراسة فى العالم الإسلامى : لايحظر الدين

الإسلامى الحنيف دراسة أى علم من العلوم المعروفة بين الأزهرين بالعلوم الحديثة كالرياضيات والطبيعات وبحوث

الفلسفة وغيرها ؛ وإن نظرة في تاريخ القرون الإسلامية الأولى - ومحافظتها على الدين مشهورة - لكافية في الدلالة على ذلك . فقد نبغ في هذه العصور كثير من الحكماء والفلاسفة والرياضيين والفلكيين ، وألفوا في هذه العلوم مؤلفات قيمة ، ولم يدخروا وسعاً في نشرها . وكان خلفاء المسلمين وأمرائهم ووزرائهم يتضافرون على تشجيع هذه العلوم والمشتغلين بها وينظرون إليها نظرة إجلال . ذكر صاحب كشف الظنون : « أن الخليفة الثاني من بني العباس أبا جعفر المنصور مع براعته في الفقه كان مقدماً في علوم الفلسفة محباً لأهلها وبالأخص علم النجوم » . وقد أنشأ الخليفة هرون الرشيد « بيت الحكمة » لتدريس العلوم الحكيمة والطبيعية والرياضية ؛ وأجرى النعم على من كان بها من علماء وفلاسفة ومترجمين وتلاميذ . - وقد أخذ المأمون بناصر هذه العلوم فكان يضطهد أعداء الفلسفة أيما اضطهاد ، ووجه أكبر قسط من عنايته إلى النهوض ببيت الحكمة فألحق به مرصداً فلكياً ووسع من مكتبته

وأضاف إليها كثيراً من كتب الفلسفة والطبيعة والرياضة في لغاتها ، وفيها العربية واليونانية والسريانية والفارسية والهندية والقبطية . وقد كان من نتائج عنايته هذه أن نبغ في عصره كثير من جهابذة العلماء في الفلسفة والفلك والطب والرياضة كالخوارزمي صاحب المؤلفات المشهورة في الجبر ، وسلم أمين مكتبة بيت الحكمة الذي قام بترجمة كتاب المجسطي لبطليموس من اليونانية وشرحه وحل نظرياته ، ويحيى بن أبي منصور وسند بن علي والعباس الجوهري الذين تولوا إدارة المرصد المأموني . — وذكر المؤرخون أن الأمير صالح بن مرداس صاحب حلب خرج إلى قرية المعرة وقد عصى أهلها فنازلها وشرع في حصارها ورماها بالمنجنيق ، فامأأحسن أهلها الغلبة سعوا إلى أبي العلاء المعري المشهور باشتغاله بالفلسفة وسأله أن يخرج ويشفع فيهم ، فخرج ومعه قائد يقوده ، فأكرمه الأمير واحترمه ، ثم قال له ألك حاجة ؟ فقال المعري : « الأمير ، أطال الله بقاءه ، كالسيف القاطع : لأن متنه ، وخشن حده ؛ وكانهار

القائظ : اشتد هجيرته ، وبرد أصيله . خذ العفو وأمر بالعرف
وأعرض عن الجاهلين » . فقال الأمير : « قد وهبتها لك » .
فانظر كيف وهب الأمير بلدًا عصى أهله إكراما لفيلسوف .
بقيت تلك العلوم النافعة منتشرة زاهرة بين المسلمين
لا يرمون قراءها والمشتغين بها بزيف ولا ضلالة ، إلى أن
صارت السلطة الحقيقية في الدولة الإسلامية للأعاجم من
التتار والمغول ، ولم يكن لأغاب أولئك الأعاجم ذلك العقل
الذي راضه الإسلام ، والقلب الذي هذبته الدين ، ولم يكن
لأحد منهم نفس أبي بكر الصديق الذي جعل أول خطابه
للناس بعد المبايعه : « إن رأيتموني على حق فأعينوني وإن
رأيتموني على باطل فردوني » . بل جاءوا إلى الإسلام بخشونة
الجهل ، يحملون ألوية الظلم ، فانقلب الحكم في أيامهم من
الشورى إلى الاستبداد . ولكنهم وجدوا أمامهم عقبة
كبرى تمنعهم من مطاق التصرف في الخلق : تلك العقبة
هى العلوم التى تقف المرء على قيمته وحقوقه وتدفعه إلى طيها
إذا رآها مهضومة ، وتعوده التفكير السليم والبحث المنطقي .

فعمدوا إلى القضاء على تلك العلوم ، غير مدخرين جهداً في ذلك ، وتم لهم ما أرادوا . ومن ذلك العهد قعدت الهمم ، وفترت العزائم ، وركدت القرائح ، وهجرت العلوم التي اخترعتها الأمم الإسلامية الأولى (وقد بلغ عددها على ما جاء في كشف الظنون مائة وتسعين علماً) ، لتصور العقول عن إدراكها . فأصبح يقال عن كل علم لا يستطيع فهمه أن قراءته غير مستحبة أو مكروهة ، ثم ترتقى تلك الكراهة شيئاً فشيئاً إلى التحريم . وانقلبت أوضاع التعليم حينئذ من واسع الاطلاق والبحث عن علل الأشياء وحقائقها ، إلى ضيق التقليد والاكتفاء بالأخذ بظواهر العبارات التي قالها المتقدمون ، بلا تنقيب عن أدلتهم التفصيلية .

ولكن على الرغم من هذا التأخر العلمي العام ، فإن سماء الأمم الإسلامية ما كانت تخلو - من حين لآخر - من نجوم ثواقب تشرق بأنوار عامها على حالك الجهل ، وتقاوم بمافي طاقتها ، وتجاهد مجاهدة الأبطال لإعادة حالة العلم والتعليم إلى ما كانت عليه أيام عزة المسلمين ومجدهم .

وما برح فجر القرن العشرين حتى ثابت الأمام الإسلامية إلى رشدتها، فرأت أمم الغرب قد ضربت في الحضارة بسهم وافر، وسبقتهما في ميادين العلوم والفنون والآداب، وأقصتها من حلقة الصناعات والمخترعات، فأخذت تجد في اللاحاق بها، غير آبهة بما يصادفها في سبيلها من عقبات يقيهها خصوم الاسلام، ويثيرها هنا وهناك أنصار الجود وأعداء الارتقاء.

اختيار مواد الدراسة بالأزهر : هذه هي أدوار التعليم في العالم الاسلامي أجمع من فجر تاريخه إلى اليوم . وهي هي بنفسها التي سر بها الأزهر في عصوره المختلفة : —

١ — ذكر المقرئى : « أن أول مدارس بالأزهر الفقه الفاطمى على مذهب الشيعة . فانه فى شهر صفر سنة ٣٦٥ هـ جاس على بن النعمان القاضى بجامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر وأملى مختصر آييه فى الفقه عن أهل البيت ويعرف هذا المختصر « بالاختصار » .

وقد عني خلفاء الفاطميين كثيرا بنشر مذهبهم،

وأغدقوا نعمهم على المشتغلين به من العلماء والطائفة، كما
سندكر ذلك في موضعه . فساد المذهب الفاطمي مذاهب
أهل السنة التي كانت منتشرة في مصر قبل الفتح الفاطمي
(وهما المذهب الشافعي والمالكي) ، وصار هو المذهب
المعمول به في القضاء والفتيا ، وحورب ماعداه من المذاهب .
ذكر المقرئ أنَّهُ « في سنة ٣٨١ هـ ضرب رجل بمصر
وطيف به في المدينة من أجل أنه وجد عنده كتاب الموطأ
للمالك بن أنس رحمه الله » .

غير أنه يظهر من عناية الخلفاء الفاطميين بالعلوم الرياضية
والفلكية والطبيعية والجغرافية أن تلك العلوم لا بد أن
تكون قد درست بالأزهر في زمانهم . إذ يبعد على من
أنشئوا « دار العلم » ، وجعلوا من مواتها الأساسية الفلك
والطاب والحساب والمنطق وما إلى ذلك من العلوم الحكمية ،
وعلى من كانت مكتبتهم محتوية على مائة ألف مجلد منهاسته
آلاف في الطب وعلى كرتين سماويتين أحدهما من الفضة
يقال ان صانعها بطليموس الفلكي نفسه وأنه أنفق عليها

ثلاثة آلاف دينار وعلى خريطة جغرافية ثمينة كالتى ذكرها
المقرئى فى قوله : « دخل هذه المكتبة (مكتبة الفاطميين)
أحد السياح ، فرأى فيها مقطعا من الحوير الأزرق ، غريب
الصنعة ، فيه صورة أقاليم الأرض وجبالها وبحارها ومدنها
وأنهارها ومسكنها وجميع المواطن المقدسة ، مينة للناظر ،
مكتوبة أسماء طرائقها ومدنها وجبالها وبلادها وأنهارها
وبحارها بالذهب وغيرها بالفضة والحريز » -- أقول يبعد
على من كان هذا شأنهم ألا يجعلوا لتلك العلوم الفلكية
والرياضية والجغرافية والطبيعية نصيبا بأزهرهم .

٣ - ولما انقضت دولة الفاطميين واستولى صلاح الدين
يوسف بن أيوب على ملك مصر ، شرع فى تغيير مبادئ الدولة
الفاطمية وإزالة آثارها . فأنشأ بمدينة القاهرة مدرسة للفقهاء
الشافعية ، وأخرى للفقهاء المالكية ، وصرف قضاة مصر الشيعة
كلهم ، وأبطل الخطبة والتدريس من الجامع الأزهر ، رغبة
منه فى إزالة كل أثر للفاطميين .

وبقيت الدراسة معطلة بالأزهر إلى زمن السلطان الظاهر بيبرس من ملوك الجراكسة . فلما تولى هذا السلطان ملك مصر سنة ٦٥٨ هـ أعاد للأزهر حياته العلمية والدينية ، ورد له كثيرا من مخصصاته المادية ، وأصبح أبنته . وكان ذلك يسمى أحد أمراء دولته وهو الأمير عز الدين أيمن الحلبي الذي كان مسكنه مجاوراً للأزهر .

وأول مدارس بالأزهر من مذاهب أهل السنة مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، ثم أدخلت إليه المذاهب الأخرى تباعاً .

واتجهت العناية الكبرى حينئذ لاتقان تدريس العلوم الدينية بوجه خاص ، وتسابقت هم الفحول في إتقان آلتها من نحو وصرف وعلوم بلاغة . فنبغ حينئذ بمصر أئمة أعلام يفخر بهم اليوم العالم الإسلامي أجمع كالإمام عز الدين بن عبد السلام ، والإمام السبكي وأبنائه ، والشهاب القرافي ، وابن هشام ، والسراج الباقيني ، وجلال الدين السيوطي ... وغيرهم من المصريين ، وكابراهيم بن عيسى الاندلسي ، وعز الدين

عمر بن عبد الله عمر القدسي ، والامام الأصبهاني ، والامام
الزيلعي ، وابن الحاج محمد العبدري النفسي ، وابن حيان محمد
بن يوسف الغرناطي ، وتاج الدين التبريزي ، والحافظ العراقي ،
والحافظ بن حجر العسقلاني ، وعلاء الدين الحموي ، والرضي
الشاطبي ، وشيخ الاسلام زكريا الأنصاري ، وقاسم بن محمد
التونسي وغيرهم من الذين رحلوا من مختلف الممالك
إلى مصر لطلب العلم بالأزهر .

وكانت العلوم العقلية من رياضية وغيرها تدرس
به كذلك ؛ ولكن المشتغلين بها اذ ذاك كانوا نورا يسيرا
من الطلبة .

٣ — وأخذ القول بجرمة بعض العلوم العقلية يتسرب
شيئا فشيئا للأزهر كما تسرب لغيره من المعاهد الاسلامية
الأخرى ، حتى انتهى الأمر بهجرها بتاتا . قال الجبرتي يصف
ما آلت اليه حال العصر في هذا الدور : « كان الوزير أحمد
باشا كور المتولى علي مصر في سنة ١١٦١ هـ من أرباب

الفضائل وله رغبة في العلوم الرياضية . فلما استقر بقلعة مصر قابل صدور العلماء ، ومنهم الشيخ عبد الله الشبراوى شيخ الأزهر ، فتكلم معهم في الرياضيات فقالوا : « لانعرف هذه العلوم » ، فتعجب وسكت . وكان للشبراوى وظيفة الخطابة بجامع السراية . فكان يطلع يوم الجمعة ويدخل عند البابا . فقال له البابا : « المسموع عندنا بالديار التركية أن مصر منبع الفضائل والعلوم ، وكنت في غاية الشوق إلى الحجى إليها ، فاما جئتها وجدتها كما قيل : « تسمع بالمعيدي خير من أن تراه » . فقال له الشيخ : « يامولاي هي كما سمعتم معدن العلوم والمعارف » . فقال : « وأين هي وأنتم أعظم علمائها وقد سألتكم عن بعض العلوم فلم تجيبوني ، وغاية تحصيلكم الفقه والوسائل ونبذتم المقاصد » . فقال الشيخ : « نحن لسنا أعظم علمائها وإنما نحن المتصدرون لقضاء حوائجهم وأغلب أهل الأزهر لا يشتغلون بالرياضيات إلا بقدر الحاجة الموصلة لعلم المواريث » .

فبقيت تلك العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية مهجورة

من الأزهر ينظر إليها بنظر السخط . قال المرحوم على باشا مبارك في خطبته مانصه : « وينهى أهل الأزهر من يقرأ كتب الفلاسفة ويشنون عليه الغارة وربما نسبوه للكفر » ، فعلموا ذلك مع جميع من اشتهر عنهم الاشتغال بالعلوم الحكمية والفلسفية والرياضية ، وخاصة مع السيد جمال الدين الأفغانى (الذى مالبت أن قدم مصر سنة ١٢٨٨ ورأى ما آلت إليه حالة العلم فيها حتى وقف جهوده على نشر العلوم الفلسفية والحكمية . وإلى مجهوداته ومجهودات تلاميذه من بعده يرجع الفضل فى النهضة الأزهرية الحديثة) ومع صفوفه تلاميذه كالأستاذ الامام الشيخ محمد عبده والرحوم الشيخ عبد الله وفى الفيومى (صاحب المبادئ المنطقية وسوانح الموجهات) .

٤ — ولكن لم يطل الأمر على ذلك كثيرا حتى قيض الله من الأمراء والوزراء والعلماء من فطن لأسباب هذا التأخر العلمى وأخذ فى السعى لاعادة تدريس تلك العلوم

النافعة، وخشية المفاجأة باعادة تدريسها في الأ زهر بعد مارسخ في أذهان الكثير أن بهما يعدو على الدين ، رأى ولاية الأمور أن يهدوا السبيل لادخالها في الجامع الأ زهر بأخذ آراء أفاضل العلماء الأ زهرين ، فأوعزوا إلى السيد محمد بيرم (من كبار مدرسي جامع الزيتونة ومدير عموم الأ وقاف التونسية وقاضى محكمة مصر في ذلك العهد) أن يقوم بهذه المهمة . وبعد أخذ ورد بينه وبين المرحومين الشيخ محمد الانبأى شيخ الاسلام ، والشيخ محمد البنا مفتى الديار المصرية في ذلك العهد استقر رأى أن يكتب لهما استفتاء صورته بعد الديباجة :

« ما قولكم رضى الله عنكم : هل يجوز تعلم المسامين للعلوم الرياضية مثل الهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات وتركيب الاجزاء المعبر عنها بالكيمياء وغيرها من سائر المعارف ، ولا سيما ما ينبنى عليه زيادة القوة في الأمة بما تجارى به الامم المعاصرين (كذا) لهما في كل ما يشمله الامر بالاستعداد ؟ بل هل يجب بعض تلك العلوم على طائفة من الاممة بمعنى

أن يكون واجبا وجوبا كفائيا على نحو التفصيل الذى ذكره فيها الامام حجة الاسلام الغزالي فى إحياء العلوم ونقله علماء الحنفية وأقروه؟ وإذا كان الحكم فيها كذلك فهل تجوز قراءتها مثل ما تجوز قراءة العلوم الآلية من نحو وغيره الرائجة الآن بالجامع الأزهر وجامع الزيتونة والقرويين وغيرها؟ أفيدوا الجواب، لازتم مقصدا لأولى الالباب». — فأجابه الشيخ محمد الانبأى بالفتوى الآتية بعد الديباجة: —

«يجوز تعلم العلوم الرياضية مثل الحساب والهندسة والجغرافيا لأنه لا تعرض فيها لشيء من الأمور الدينية، بل يجب منها ما تتوقف عليه مصالحة دينية أو دنيوية وجوبا كفائيا، كما يجب علم الطب لذلك، كما أفاده الغزالي فى مواضع من الإحياء. وإن ما زاد على الواجب من تلك العلوم مما يحصل به زيادة التمكن فى القدر الواجب فتعلمه فضيلة، ولا يدخل فى علم الهيئة الباحث عن أشكال الأفلاك والكواكب وسيرها علم التنجيم المسمى بعلم أحكام النجوم،

وهو الباحث عن الاستدلال بالتشكلات الفلكية على الحوادث السفلية ، فانه حرام كما قال الغزالي ، وعلل ذلك بما محصله أنه يخشى من ممارسته نسبة التأثير للكواكب والتعرض للأخبار بالمغيبات ، مع كون الناظر قد يخطئ خلفاء بعض الشروط أو الأسباب عليه لدقتها.

وأما الطبيعيات وهي الباحثة عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالاتها وتغيرها ، كما في الأحياء في الباب الثاني من كتاب العلم ، فان كان ذلك البحث على طريق أهل الشرع فلا مانع منها ، كما أفاده العلامة شهاب الدين أحمد ابن حجر الهيتمي في جزء الفتاوى الجامع للمسائل المنتشرة ، بل لهما حينئذ أهمية بحسب أهمية ثمرتها كالوقوف على خواص المعدن والنبات المحصل للتمكّن في علم الطب ، وكعمارة الآلات النافعة في مصالح العباد . وإن كان على طريقة الفلاسفة فلا اشتغال بها حرام لأنّه يؤدى الى الوقوع فى العقائد المخالفة للشرع ، كما أفاده العلامة المذكور . نعم يظهر تجويزه لكامل القريحة ، المارس للكتاب والسنة ، لأن من عليه مما ذكر

قياساً على المنطق المختلط بالفلسفة على ما هو المعتمد فيه من أقوال ثلاثة ، ثانيها الجواز مطلقاً . . . وثالثها المنع مطلقاً . . . أما علم تركيب الأجزاء المعبر عنه بالكيمياء ، فإن كان المراد به مجرد البحث عن التركيب والتحليل بدون تعرض لما يخشى منه على العقيدة الإسلامية فلا بأس به ، بل له أهميته حسب ثمرته ، والاجرت فيه الأَقوال الثلاثة المتقدمة .

وأما العلم المعروف بعلم جابر ، وسمى أيضاً علم الصنعة وعلم السكاف ، وهو الذي ينصرف إليه علم الكيمياء عند غالب الناس ، فقد أفاد العلامة ابن حجر في شرحه على المنهاج أنه إن قلنا بالمعتمد من جواز انقلاب الجسم عن حقيقته وكان العلم الموصل لذلك يقينياً جاز تعامه والعمل به ، وإلا حرم . ولنقد هذا الشرط لم يتحصل المشتغلون به قياراً بينه إلا على ضياع الأموال وتشتت البال وتغيير الأحوال .

فعلم أن العلوم الرياضية لا بأس من قراءتها كما تقرأ علوم الآلات . وكذلك الطبيعيات وعلم تركيب الأجزاء .

حيث كانت تقرأ على طريقة لا يفهم منها منابذة الشرع
يحال ، كبقية العلوم العقلية مثل المنطق والكلام والجدل . بل
يجب كفاية من هذه الثلاثة ما يحتاج اليه في الحجاج عن العقائد
الدينية والله سبحانه وتعالى أعلم »

غرة الحجة سنة ١٣٠٥ هـ محمد الانبائي الشافعي

خادم العلم والفقراء بالأزهر عفى عنه
وكتب العلامة الشيخ محمد محمد البنا مفتي الديار المصرية
« الفتوى الرسمية الآتية رقم ١٧١ : » ما أفاده حضرة الأستاذ
شيخ الاسلام موافق لمذهبنا ، وما استظهره من أن الخلاف
الجارى فى علم المنطق يجرى فى علم الطبيعة أيضا وحيه ،
والله سبحانه وتعالى أعلم .

١٧ الحجة سنة ١٣٠٥ هـ الفقير محمد محمد البنا الحنفى

غفر له

وهذه الردود نفسها تشف عن جهل رؤساء الأزهر
فى ذلك العهد بهذه العلوم وعن عداوتهم لها ونظرهم اليها بعين

الشك والريبة . ولكن المناقشة فيها وجرة بعض العلماء على القول بوجوب بعضها كافتتان في الدلالة على أن اتجاهها جديدا في هذه الناحية قد أخذت تظهر بوادره في السنين الأولى من القرن الرابع عشر الهجري .

هـ - ولم يتقرر رسمياً إدخال بعض هذه العلوم إلا في عصر الخديو عباس الثاني . فقد أصدر أمره المؤرخ في ٢٠ المحرم سنة ١٣١٤ هـ بتدريس بعض تلك العلوم في الأزهر .

فأصبحت العلوم التي تدرس في الجامع الأزهر في ذلك الحين شاملة للعلوم الدينية وآلاتها ، وبعض العلوم الحديثة التي كانت غير معروفة بالأزهر : كتاريخ الاسلام ، وصناعة الانشاء قولاً وكتابة ، واللغة متناً وأدباً ، ومبادئ الهندسة ، وتقويم البلدان .

ولتنشيط الطلبة وحثهم على الاجتهاد في هذه المواد الحديثة خصص أولو الأمر - بسعي أفاضل من المهتمين

بأمر هذا المعهد، ونخص بالذكر منهم الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية، مبلغا ماليا قدره ستمائة جنيه سنويا يمنح للتابعين في هذه العلوم مكافأة لهم وحثا لسواهم. فعظمت بذلك عناية الأزهريين ونمت رغبتهم في تلك العلوم وأبدوا من البراعة فيها، على قلة الزمن وحدثا العهد، ما أنبأ عن فرط ذكائهم وعظيم جدتهم. ولما اتضحت لهم فائدة تلك العلوم أقبلوا عليها لذاتها اقبالا عظيما.

واليك بيان العلوم التي كانت تدرس بالأزهر في ذلك العهد: —

- ١ — العلوم القديمة: وقد كانت تنقسم قسمين: مقاصد ووسائل. فأما المقاصد: فعلم الكلام، وعلم الأخلاق الدينية، والفقه، وأصول الفقه، وتفسير القرآن، والحديث. وأما الوسائل: فالنحو، والصرف، والمعاني، والبيان، والبديع، والمنطق، ومصطلح الحديث، والحساب، والجبر، والعروض، والقوافي.
- ٢ — العلوم التي أدخلت حديثا: وهي تاريخ الاسلام، والانشاء التحريري والشفوي، واللغة متنا وأدبا، ومبادئ

الهندسة ، وتقويم البلدان ، والعلوم العقلية (الفلسفة وما إليها) ،
والخطوط .

وقد كان الطلبة يتمرنون اختياريا ويمرّنهم أساتذتهم
على التدريس . فهذا المرحوم الامام الشيخ محمد عبده كان
يدرس بالأزهر المنطق والتوحيد والفلسفة وغيرها ، على نحو
ما في كتب أيساغوجي والعقائد النسفية وحواشيها ومقولات
السجاعي وشروحها ، وكان يحضر دروسه كثير من الطلبة ،
كان يفعل هذا وهو لا يزال طالباً وتلميذاً للشيخ الأفغانى
والشيخ الطويل وغيرها . ولما وثى به إلى الشيخ عايش ، لم
يأخذ عليه تصدّره للتدريس ، وإنما أخذ عليه تدريسه العقائد
النسفية . فان الشيخ رحمه الله كان يعتقد أن كتاباً كهذا
لا يستطيع طالب كمحمد عبده فهم مسائله . وبذلك يمكن
القول بأن فن التربية العملية قد وضعت بذوره في هذا
العصر .

غير أن المشتغلين بعلوم الأدب واللغة كانوا قليلي
العدد . فكانت نتيجة ذلك أن قل عدد العارفين باللغة

وأدائها . حتى كنت لا ترى من بين كثير ممن نبغ في العلوم
الدينية ، ورسخت قدمه فيها ، إلا نورا يسيرا يقدر على
الكتابة والانشاء . وقد فطن لذلك أولياء الأمور ، فنظروا
لنقص الانشاء بما يستحقه من الرعاية ، وعينوا له من المدرسين
العدد الكافي ، وألزموا الطلبة الاشتغال به أسوة ببقية العلوم
الأخرى ، وجعلت له مكافأة مالية يعطاها النابغ فيه تذكينا
له وحشا لغيره .

٦ ، ٧ — هذا ، وقد حدث بعد الإصلاح المذكور
ثلاثة إصلاحات يرمى كل منها إلى توسيع مواد الدراسة
بالأزهر حتى تكون شاملة لكل ما يدرس بالمعاهد المصرية
الأخرى ، وإلى جعل العلوم الحديثة إجبارية بعد أن كانت
اختيارية : أولها إصلاح الذي حدث في عهد الشيخ سليم
البشرى ، ويرجع الفضل فيه إلى طائفة من كبار علماء الأزهر
وخاصة الاستاذ الشيخ محمد شاكر ، وثانيها الإصلاح الذي
حدث في المشيخة الأولى لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد مصطفى

المرافعي ، وثالثها الاصلاح الأخير الذي حدث في مشيخته الثانية .

ولا يتسع المقام للكلام في هذه العجالة عن مواد الدراسة في كل نظام من النظم الثلاثة السابقة وطريقة توزيعها على مختلف مراحل التعليم . هذا الى أن مواد كل نظام منها مدونة بتفصيل في المناهج التي صدرت بشأنه .

الكتب . — يؤخذ من رسالة قدمتها مشيخة الأزهر

لسمو الخديو عباس الثاني سنة ١٣١٠ هـ أن الكتب التي كانت تدرس بالأزهر في ذلك العهد لا تكاد تخرج عما يلي :

١ — كتب علم التوحيد : أم ابراهيم للشيخ محمد

يوسف السنوسي مع شرح المؤلف والشيخ الهدهدي والشيخ الباجوري ، الكبرى لأبي عبد الله محمد السنوسي ، جوهرة

التوحيد للقاني مع شرحه ، العقائد النسفية بشرح السعد

التفتازاني ، الخريدة للدردير ، المقاصد للتفتازاني ، المواقف للعضد

مع شرح الجرجاني ، طوابع الأنوار لليضاوي بشرح الاصفهاني ،

متن بليحة بشرح الشيخ السقا، متن السباعي بشرح
الباجوري .

٢ - كتب علم التصوف : الابريزي لسيدى عبد
العزيز ، الأنوار القدسية لعبد الوهاب الشعراني ، بستان
العارفين لسمرقندى ، تاج العروس لابن عطاء الله السكندري ،
التجليات الالهية لمحي الدين العربي ، تحفة الاخوان للدردير ،
تفليس إبليس لعز الدين بن عبد السلام ، تنبيه الغافلين
لسمرقندى ، التنوير فى اسقاط التدبير لابن عطاء الله
السكندري ، الاحياء للغزالي ، قوت القلوب لأبى طالب
المكي ، السنن الكبرى للشعراني .

٣ - كتب التفسير : الكشاف ، الجلالين ، الشرياني
البيضاوى ، ابو السعود ، الفخر الرازى ، الخازن لعلاء الدين
البغدادى ، النسفى ، الاتقان للسيوطى .

٤ - كتب التجويد : التحفة للجمزورى ، الجزرية
والتهيد للجزرى ، جهد المقل للشيخ على زاده ، ارشاد الرحمن
للأجهورى ، الشاطبية للشاطبي ، الوقف والابتداء للأشمونى .

٥ - كتب الحديث : صحيح البخارى بشرح القسطلانى ،
والعسقلانى والعينى وزكريا الأنصارى ، مختصر البخارى ،
لابن أبى حمزة ، صحيح مسلم بشرح النووى ، الشفاء للقاضى ،
عياض بشرح الخناجى ومنلا على قارى ، موطأ مالك بشرح
الزرقانى وابن عبد البر ، الجامع الصغير للسيوطى بشرح
العزيزى والمناوى والايبارى ، لأذكار للنووى بشرح ابن
علان ، التجريد الصريح للزبيدى ، الشئام للمحمديّة لترمذى
بشرح الجمل ، صحيح الامام النسائى ، صحيح الأشعث ، صحيح
ابن ماجه ، المواهب اللدنية للقسطلانى ، السيرة الحلبية
للإمام الحلبي .

٦ - كتب مصطلح الحديث : ألفية الحافظ العراقى بشرح
شيخ الاسلام العدوى ، تقريب النووى بشرح السيوطى ،
النخبة لابن حجر العسقلانى ، البيقونية بشرح الزرقانى ،
منظومة الصبان .

٧ - كتب الفقه الحنفى : نور الايضاح للشرنبلالى ،
الكنز للنسفى مع شرح الطائى وابن نجيم والزيلعى والعينى

ومتلا مسكين ، تنوير الأَبصار للثمرتاش بشرح الحصكفي ،
 البداية للمرغيناني ، الهداية ، الغاية ، فتح القدير ، الأشباه
 والنظائر لابن نجيم ، الخراج لأبي يوسف ، ملتقى الأبحر
 للحاجي بشرح الحصكفي ، مجمع البحرين لابن الساعاتي ، متن
 القدوري للبغدادى ، جامع الفصولين لابن قاضي سمولته ،
 متن السراجية للمجاوندى .

(٨) كتب الفقه المالكي : العشماوية للعشماوى بشرح
 ابن تركي ، العزية للشاذلي بشرح الزرقاني ، رسالة ابن أبي
 زيد القيرواني بشرح الحسن الصعدي ، أقرب المسالك
 للدردير ، مختصر خليل مع شرح الدردير والقرشي والزرقاني
 والخطاب والشبراخيتي ، المجموع للشيخ الأمير ، العاصمية ،
 التبصرة لابن فرحون ، القاصاوى للقرشي .

(٩) كتب الفقه الشافعي : التقريب لأبي شجاع
 بشرح الشريني ، الأشباه والنظائر للسيوطي ، التحرير
 والمنهج لتركيا الأنصاري ، الروض لابن المقرئ ، منهاج
 الطالبين للنووي ، العباب لابن المدحجي ، نهج الطلاب

للجوهرى ، البهجة لابن الوردى ، الوجيز للغزالي ، الروض
للنووى ، الارشاد لابن المقرئ ، كشف النقاب للنوائى ،
فتاوى ابن حجر ، فتاوى الرملى ، الرحبية ، الترتيب للماردينى
كشف الغوامض للسبط ، ألفية ابن الهائم .

(١٠) كتب الفقه الحنبلى : متن الدليل للشيخ مرعى ،
الغاية له أيضا ، زاد المستقنع للبهوتى ، متن المنتهى للفتوحى ،
الاقناع للمجاوى ، الانصاف لعلاء الدين المرداوى ، الفروع
لابن مفلح الرامينى ، تصحيح الفروع للمرداوى ، مختصر
الشطى لالشطى .

(١١) كتب أصول الفقه : جمع الجوامع للسبكى
بشرح الجلال المحلى ، مختصر ابن الحاجب بشرح العضد ،
منار الأنوار للنسفى بشرح ابن ملك والحصكفى وابن نجيم ،
التنقيح لصدر الشريعة ، تنقيح الفصول للقرافى ، الورقات
لامام الحرمين بشرح المحلى وابن قاسم ، الورقات للحطاب ،
التحرير للكمال بن الهمام ، فصول البدائع للمغزى ، المرأة .
(١٢) كتب اللغة : القاموس المحيط للفيروزابادى

بشرح السيد مرتضى ، الصبحاح للجوهري ، مختار الصبحاح
للرازي ، المصباح المنير للفيومي ، فقه اللغة للثعالبي ، الأساس
للزحشرى ، المزهر للسيوطي ، لسان العرب لجمال الدين
الأَنْصَارِي .

(١٣) كتب النحو : الأُجرومية مع شرح الكفراوى
والشيخ خالد ، التوضيح مع شرح الشيخ خالد ، الأُزهرية ،
القطر ، الشذور ، ألفية ابن مالك مع شرح ابن عقيل
والأشموني ، المغنى ، الكافية لابن الحاجب ، التسهيل
لابن مالك ،

(١٤) كتب الصرف : المراح لأحمد بن علي بن مسعود ،
الشافية لابن الحاجب بشرح شيخ الاسلام والرضي ،
التصريف للعزى بشرح التفتازاني ، الترصيف للأخضرى ،
نظم العقود للطحطاوى بشرح الشيخ عايش ، لامية الأفعال
لابن مالك ، رسالة الجوهرة في الاشتقاق .

(١٥) كتب المعاني والبيان والبديع : التخليص للخطيب
القزويني مع شرح السعد ، المفتاح للسكاكي بشرح السعد

والسيد الشريف ، الجوهر المكنون للأخضرى مع شرح
الدمهورى ، عقود الجمان للسيوطى مع شرح المؤلف ،
منظومة ابن الشحنة ، الرسالة البيانية للصبان ، السمرقندية .
(١٦) كتب العروض والقوافى : الكافى للقنائى ،
الخزرجية ، منظومة الصبان .

(١٧) كتب الوضع : الرسالة العضدية تشرح السمرقندى ،
عقود الزواهر ،

(١٨) كتب المنطق : السلم الأخضرى شرح المؤلف
نفسه والقويسنى والمولى والباجورى ، ايساغوجى للأبهري
بشرح شيخ الاسلام ، التهذيب للتفتازانى بشرح الخبيصى ،
الشمسية للسكاكى بشرح قطب الدين الرازى ، المختصر
للسنوبى ، المطالع للأرموى بشرح الرازى .

(١٩) كتب آداب البحث : الرسالة العضدية لعضد
الدين ، آداب الكلبوى بشرح حسن باشا زاره ، آداب
السمرقندى بشرح الشيروانى وشيخ الاسلام ، آداب
الساجقلى لمرعشى ، آداب الجرجانى .

(٢٠) كتب التاريخ : تاريخ الخميس للقاضي حسين الديار بكري ، اسعاف الراغبين للصبيان ، مقدمة وتاريخ ابن خلدون ، الكامل لابن الأثير ، وفيات الأعيان لابن خلكان ، أسد الغابة لابن الأثير ، الخطط للمقريزي ، نفع الطيب للمقري ، الفتح لأحمد بن علي ، حسن المحاضرة للسيوطي ، تحفة الناظرين للشرقاوي ، الطبقات الصغرى لابن السبكي ، طبقات الشعراني لسيدى عبد الوهاب ، لوائح الأنوار للشعراني ، خلاصة الأثر للحلي ، أخبار الأول للاسحاق .

(٢١) كتب الجغرافية : الأزهري للشيخ محمد حسن الأزهري (وكتب أخرى حديثة يختارها الأساتذة المنتدبون من المدارس الأميرية لتعليم هذا العلم بالأزهر) .

(٢٢) كتب الحساب والجبر : الوسيلة لابن الهائم ، التحفة السنية للبسط ، السخاوية للسخاوي ، اليا سميذية لابن الهائم ، منظومة في الحساب للأخضري ، نزهة الأبصار لابن الهائم ، الدرة البيضاء للأخضري ، الخلاصة لبهاء الدين العاملي ، التلخيص للدمياطى ، اللمعة في الحساب لابن الهائم

(وكتب أخرى يختارها الأساتذة المتدبون).

(٢٣) كتب الميقات والهيئة : رقائق الحقائق للسبط ، خلاصة المختصرات لابن عائشة ، المطلب للسبط ، رسالة في العمل بالربع للجبرتي ، المقدمة لمحمد المجدي ، تحفة الاخذان لابن قاسم ، هداية الخائر للسبط ، رسالة في الوقت والقبلة للقليوبي ، رسالة في معرفة التواريخ لابن مهدي ، دستور علم الميقات لرضوان افندي ، زاد المسافرين لأحمد بن المجدي ، تسهيل الدقائق لخليل الفرازى ، التذكرة للطوسى ، المطالع السعيد لحسين زايد .

(٢٤) كتب الحكمة : الاشارات لابن سينا ، الهداية لأثير الدين الأبهري ، حكمة العين للكاتبي ، مقولات السجاعي ، مقولات البليدى ، مقولات المرصفي ، غاية النشر لعبد الجواد القباني .

(٢٥) كتب الرسم : منظومة في الرسم العثماني ، منظومة في الرسم القياسي ،

المتون والشروح والحواشي والتقارير بالأزهر : لما
 انحطت درجة الاشتغال بالعلوم الإسلامية وضعف شأنها
 وكان العلماء المتقدمون قد استوفوا الكلام فيها بمؤلفاتهم
 لم يجد المتأخرون لظاهر فضلهم في التصنيف إلا أن يعددوا
 إلى ما بين أيديهم فيختصروه في متون منظومة أو منشورة
 معقدة التراكيب وجيزة الألفاظ ، ثم أخذوا يضعون لها
 الشروح والتفاسير . وجاء من بعدهم طبقة دون طبقتهم قصرت
 همها على وضع الحواشي على هذه الشروح ، وطبقته ثالثة قصرت
 همها على وضع التقارير على هذه الحواشي حتى حُجبت
 أضواء العلوم تحت هذه السحب الكثيفة ، وتضاءل اللباب
 تحت التشور ، واستحكمت حجابات التعقيد ، ووقعت
 الأذهان في العنت والارتباك . وقد أخذ علماء الأزهر
 يدرسون هذه الشروح والحواشي والتقارير أمدا طويلا ،
 فساءت بذلك حالة التعليم ، وضاعت الأعمار في دراسات
 تافهة قليلة الجدوى .

وفي أوائل القرن الرابع عشر الهجري رأى أولياء الأمور

وأهل الرأي من العلماء أن يدفعوا هذا الضرر ويحققوا عن الطلبة من وقع نتائجه ، فقررروا منع قراءة الحواشي والتقارير في الأزهر منعاً باتاً في أربع السنوات الأولى من سنى التدريس ، وأن يقتصر فيها على قراءة المتن وحدها مع الشروح الواضحة ، وجعلوا الخيار بعد هذا للنور للعلماء والطلبة في الاشتغال بقراءة الحواشي ، ولكنهم قرروا عدم جواز الاشتغال بقراءة التقارير إلا بتصريح خاص . وقررروا فوق هذا كله ألا يقيد طالب العلم في الجامع الأزهر بكتب معينة ، فأجازوا التدريس في أى كتاب بعد عرضه على أولى الأمر في الأزهر وصدر أمرهم بالموافقة عليه .

مكتبة الأزهر . - جرت عادة المنشئين لأروقة

الأزهر ومدارسه أن يقفوا عليها ، فضلاً عن الأموال لبقائها وعمارتها وأرزاق طلبتها ، كثيراً من الكتب النفيسة النافعة في مختلف العلوم والفنون . فكانت الكتب مقسمة مشتتة ، في كل رواق وفي كل مدرسة جزء منها لا يكاد ينتفع

به لعدم ترتيبه وتنظيمه . وبقي الحال على ذلك إلى عهد إنشاء
مجالس إدارة الأزهر سنة ١٣١٤ هـ ، فرأى حينئذ ولاية
الأُمور ضرورة لم تشتت تلك الكتب المشتتة وجمعها في
مكان واحد ليتمكن جميع العلماء والطلبة من الانتفاع بها .
فأنشئوا مكتبة الأزهر وجمعوا بها معظم تلك الكتب
(أقول معظم : لأن رواق الأتراك ورواق المغاربة ورواق
الشوام ورواق الصعايدة ورواق الحنفية احتفظت بكتبها
ولم يقبل المشرفون عليها تسليمها إلى المكتبة في بدء نشأتها)
وعينوا لها أمينا خاصا ، وربت تلك الكتب ، وجلد ما كان
محتاجا منها إلى التجليد وصحح ما كان محتاجا إلى التصحيح ،
وكل ما كان محتاجا إلى التكميل ، واشترت المكتبة نفسها
بعد ذلك العهد كثيرا من الكتب التي رأتها ضرورة وأضافته
إلى ما لديها ، وانتهت عايمها عطايا الكبراء ونقات إليها
مكاتب بعض المعاهد التي ألغيت ومنها مكتبة مدرسة القضاء
الشرعي . فقد رأت وزارة المعارف سنة ١٩٣١ أن يوزع
ما فيها بين مكتبة الأزهر ومكتبة دار العلوم العليا ، وعينت

لجنة مؤلفة من مدير مكتبة الأزهر مندوبا عن الأزهر وكاتب هذه السطور مندوبا عن دار العلوم ، نخص الأزهر منها طائفة قيمة من المؤلفات القديمة والحديثة في مختلف العلوم والآداب .

سراحل التعليم وتوزيع المواد عليها : — لم تكن سراحل

التعليم بالأزهر حتى آخر العقد الأول من القرن العشرين متميزة بعضها عن بعض تميزا دقيقا . فلم يكن أمام الباحث ، لقياس المستوى الذى وصل اليه طالب ما ، الا عدد السنين التى قضاها ذلك الطالب بالأزهر والكتب التى حضرها على مشايخه . وكلا المقياسين غير دقيق : فان الطالب فى ذلك العهد لم يكن مقيدا بامتحانات سنوية يظهر فيها مقدار انتفاعه بما درسه (ولذلك كان بالأزهر من قضى فيه معظم حياته وهو لا يمتاز عن كثير من الأميين وعامة الناس) ، وما كان يحظر عليه حضور أى كتاب (ولذلك كان بالأزهر من يحضر العقائد النسفية مثلا وهو عاجز عن إدراك مافى

الخريذة ، ومن يحضر المعنى وهو جاهل بما في الكفر اوى) .
ومع ذلك فقد كان المتعارف في الأزهر بين طلبته
وعلمائه أن الدراسة فيه تنقسم إلى ثلاث مراحل : مرحلة
ابتدائية تدرس فيها الكتب السهلة على طائفة من صغار
الأساتذة ، ومرحلة ثانوية تدرس فيها الكتب المتوسطة
على أساتذة أكثر كفاية من أساتذة المرحلة الأولى ،
 ومرحلة نهائية تدرس فيها أمهات الكتب وأصعبها على
 طائفة من جهابذة العلماء . وكان الطالب ، إذا ما فرغ من
دراسة الكتب الصغيرة ، وآس من نفسه جواز الانتقال
إلى ما هو أرقى منها ، انتقل من نفسه من حلقات المشايخ
المدرسين للكتب الصغيرة ، وذهب متدرجا لحلقات المشايخ
المدرسين للكتب المتوسطة ، ثم إلى حلقات المشايخ
المدرسين للكتب الكبرى وهكذا حتى يتم دراسته .
وشهادات الأزهر الثلاث التي سيأتى الكلام عنها
دليل قاطع على وجود هذا التقسيم بالشكل الذى
ذكرناه .

الشهادات والامتحانات : — لم يكن للأزهر قبل سنة ١٢٨٨ هـ إلا شهادة « الأجازة » ، وهى شهادة غير رسمية ، كان مشايخ الطالب يعطونه إياها عند إرادته الرجوع إلى بلاده بعد دراسته الكتب الكبرى ، فيكتب له مشايخه تلك الأجازة متضمنة الشهادة لحامها بالتحصيل والمهارة والأهلية للتدريس والافتاء وإجازته بذلك . ويبين المشايخ فى تلك الشهادة كذلك اتصال سندهم ، ويوصون حامها بالتقوى والتحرى فى الأحكام وألا يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه .

ومن سنة ١٢٨٨ هـ أخذت تظهر الشهادات الرسمية التى لا يعطاها الطالب إلا بعد أداء امتحان خاص . وقد بلغ عددها ثلاث شهادات : —

١ — « شهادة الاعفاء من القرعة العسكرية » التى يمكن اعتبارها شهادة ابتدائية . ولم يكن يعطاها إلا من قضى بالأزهر ثلاث سنوات مواظباً فيها مواظبة حقيقية على طاب العلم ، وبرهن على تحصيله بامتحان يؤديه أمام لجنة

تعمد لهذا الغرض . غير أن هذا الامتحان كان في الغالب
صوريا . فقد كان ينجح فيه كثير ممن لا يجيدون
القراءة والكتابة وممن لا يحفظون إلا بعض سور من
قصار المفصل .

٢ - « الشهادة الأهلية » وقد أنشئت سنة ١٣١٤ ،
وكان الغرض من إنشائها إيجاد أئمة وخطباء للمساجد لهم
اطلاع على أحكام الدين وعلى بعض العلوم . وللحصول على
هذه الشهادة كان من المحتم أن يكون الطالب قد قضى في
الأزهر ثمانى سنوات على الأقل مواظباً على طلب العلم ،
وحضر العلوم المقررة عرفاً لتلك المدة . وكان يمتحن طالبها
أمام لجنة مؤلفة من ثلاثة من العلماء تحت رئاسة شيخ
الجامع الأزهر .

والحائزون لهذه الشهادة كان يجوز تعيينهم في وظائف
الإمامة والخطابة والوعظ في المساجد لتعليم العامة وفي وظائف
التعليم الابتدائي ، ولكن لم يكن لهم حق التوظيف في
التدريس رسمياً بالجامع الأزهر .

وشهادتهم كانت ممهورة بختم شيخ الجامع الأزهر
لأبختم الخديوى .

٣ - « شهادة العالمية » وهى أقدم الشهادات الرسمية ؛
فقد أنشئت سنة ١٢٨٨ هـ . وقد دعا إلى إنشائها ما انتهت
إليه حالة التدريس بالأزهر من الضعف والانحلال فى ذلك
العهد . ذلك أنه لم تكن هناك مؤهلات خاصة مضبوطة
تشرط فيمن يريد التدريس بالأزهر . وكل ما كان يعمل
راغب التدريس ، أنه كان يستأذن فى ذلك بعض أساتذته
الذين أخذ عنهم . وقبل شروعه فى التدريس كان يطلب إلى
بعض المشايخ والطلبة أن يحضروا أول درس له . وكان يبذل
قصارى جهده فى الاجادة . فإذا أحسن التدريس لم يتعرض
له الحاضرون بأذى . وكان يعتبر سكوتهم هذا إجازة له
بالاستمرار فى التدريس . وإن لم يحسن التدريس تعصب
عليه بعض الحاضرين ومنعوه من الاستمرار وربما ضربوه
إن أبدى عنادا (وقد حدثت حوادث كثيرة من هذا
القبيل) . ولكن لم يلبث الطلبة والمشايخ أن تساهلوا فى

الأمر، فلم يكده أحد يتعرض لمن يتصدر للتدريس . فتصدر لهذا المنصب الجليل كثير ممن تعوزهم الكفايات اللازمة له . فرأى شيخ الجامع في ذلك العهد وهو المرحوم الشيخ المهدي العباسي أن يضع حدا لهذه الحالة التي أخذت تحط من مركز الأزهر وقيمته . فاستصدر أمرا خديويا بتقرير امتحان لمن يريد أن ينال وظيفة التدريس . وصدر هذا الأمر الخديوي سنة ١٢٨٨ هـ ناصيا على أنه ليس لأحد أن يتصدر للتدريس بالأزهر إلا بأمرين : —

(١) أن يحصل العلوم الآتية من كبار الكتب المقررة فيها ، وهي : التفسير والحديث والأصول والتوحيد والفقه والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق ؛

(٢) وأن ينجح في الامتحانات في تلك العلوم أمام لجنة يرأسها شيخ الجامع الأزهر ، وأعضاؤها من أكابر العلماء من كل مذهب من المذاهب الثلاثة (اثنان من الحنفية واثنان من المالكية واثنان من الشافعية) ويزاد عليهم عضو من علماء الحنابلة اذا كان المتحن حنبلي المذهب . فان

أجاب الطالب في كل هذه العلوم منح « العالمية » من الدرجة الأولى ، وإن أجب في أكثرها منحها من الدرجة الثانية ، وإن لم يجب في أكثرها منحها من الدرجة الثالثة . وقد جرت العادة أن تمهر « شهادة العالمية » بختم الخديوى ، وأن يمنح صاحب الدرجة الأولى « كسوة تشريفة » .

وبقى الحال على ذلك حتى سنة ١٣٠٥ هـ إذ عدّل شيخ الجامع الأزهر إذ ذاك ، وهو المرحوم الشيخ الأنباى ، قانون الامتحان ، فقرر ألا يمتحن الطالب إلا في مادة واحدة وهى أصول الفقه وأن يعلن بالمسألة التى سيمتحن فيها قبيل الامتحان ، وأن يطالعها منفردا فى غرفة قريبة من الغرفة التى سيعقد فيها الاختبار ، ويعطى الكتب اللازمة للمطالعة .

وفى سنة ١٣١٤ هـ رأى ولاية الأمور الرجوع إلى القانون الأصيل الذى سنّه الشيخ المهدي مع إدخال بعض تعديلات عليه اقتضاها الحال ، فقررُوا ألا يقبل فى الامتحان إلا من قضى فى الأزهر اثنتى عشرة سنة على الأقل مواظبا

ففيها على الدراسة وتلقى جميع العلوم التي كانت تدرس حينئذ بالأزهر (وهي التوحيد والأخلاق الدينية والفقه والأصول والتفسير والحديث والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق ومصطلح الحديث والحساب والجبر والعروض والقافية . أما العلوم المدخلة حديثاً وهي تاريخ الإسلام وصناعة الإنشاء واللغة ومبادئ الهندسة والجغرافيا فيمتحن فيها الطالب باختباره) ، وأن يعين شيخ الجامع الأزهر الموضوعات التي يجري الامتحان فيها ، وأن يعلن بذلك الطالب قبل اليوم المعين لأجرائه بثانية أيام على الأقل ، وأن تنعقد لجنة الامتحان تحت رئاسة شيخ الجامع الأزهر ، وأن يكون لكل عضو من أعضائها أن يوجه للطالب ما يشاء من الاسئلة .

وكانت طريقة الامتحان أن ينزل الطالب نفسه منزلة المدرس ، والمتحنيين منزلة الطلبة ، ويقرر لهم الموضوعات التي يكلف الكلام عنها ،

والدرجات التي يمكن نيلها في الامتحان بحسب إجابة

الطالب ثلاثة : أولى وثانيه وثالثة ، كما كان الحال سنة ١٢٨٨ هـ .
وكان لمن نال درجة أقل من الدرجة الأولى أن يطلب
إعادة امتحانه لنيل درجة أرقى من درجته بهد مضي
مدة أقلها سنة .

وكان من فاز في هذا الامتحان يعطى شهادة العالمية
المتقدم ذكرها . وكانت تخول في ذلك العهد لحاملها ، زيادة
على حق التدريس في الجامع الأزهر وفي الجوامع الملحقة به
في القاهرة نفسها وفي كثير من كبار مدن القطر ، حق تقلد
المناصب العالية في الحكومة المصرية وحق التوظيف بوظائف
القضاء الشرعي والافتاء اذا كان حنفي المذهب .

أوقات الدروس وعددها في اليوم : لم يكن بالأزهر
حتى آخر العقد الأول من القرن العشرين قانون يبين بالضبط
أوقات الدروس وعددها في اليوم . ولكن جرت العادة
من زمن قديم أن تعطى الدروس على هذا النمط : —
بعد الفجر التفسير والحديث .

بعد الشروق : الفقه .

بعد الظهر : النحو والصرف والمعاني والبيان والبدائع
والاصول .

بعد العصر : الحساب والتاريخ والجغرافيا وسائر
العلوم الحديثة .

بعد الغروب : المنطق وآداب البحث والهيئة .

وجرت العادة كذلك أن يستغرق الدرس من ساعة إلى
ساعتين . وأغلب الطلبة يتلقى كل منهم درسين صباحا
ودرسين مساء ، وبعضهم يتلقى أكثر من ذلك ، وبعضهم
أقل ، حسب نشاط كل منهم ، وعدد العلوم التي يرغب في
تلقاها .

مدة الدراسة بالأزهر : كانت مدة الدراسة في الأزهر

غير محدودة . حتى لقد كان كثير من الطلبة يقصون به
أعمارهم دون أن يتقدموا لامتحان أو تظهر عليهم رغبة في
ترك التلمذة ، لا يهمهم من المحافظة على بقاء أسمائهم مقيدة

في سجلاته إلا مجرد الانتفاع بما يدره عليهم من ريع الأوقاف والجراية .

فرأى ولاية الأمور في أوائل القرن العشرين أن يضعوا حداً لذلك ، فقرروا أن مدة الدراسة بالجامع الأزهر لمن يريد أن ينال لقب عالم أقلها اثنتا عشرة سنة وأكثرها خمس عشرة سنة .

المساحات بالأزهر : جرت العادة حتى أوائل القرن العشرين الميلادي ، أن تعطّل الدراسة بالأزهر سنوياً في شهر شعبان وشهر رمضان والنصف الأول من شوال ، وأن تعطّل كذلك مدة خمسة وأربعين يوماً حين اشتداد الحر إذا وقعت العطلة السابقة في غير أيام الصيف .
وفضلاً عن هاتين العطلتين ، فقد كان الطلبة يسامحون في المواسم الآتية : —

عيد الاضحى (وكانت تعطّل لأجله الدروس عشرة أيام) ، يوم عاشوراء ، مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ،

مولد سيدنا الحسين ؛ مهرجان الحمل ؛ مهرجان قطع الخليج ؛
مولد السيد أحمد البدوي .

غير أن بعض المدرسين كانوا يدرسون في شهرى
شعبان ورمضان كتباً صغيرة لمن كان يبقى مقبلاً فى الأزهر
من الطلبة .

طريقة التدريس بالأزهر : إذا أراد الشيخ المدرس
قراءة الدرس جلس بجانب أحد أعمدة الجامع (وقد كان
قديمًا لكل مذهب من المذاهب الأربعة عمدة معينة لا يجالس
إليها غيرهم ؛ ثم ألغى هذا الاختصاص ؛ ولكن حوفظ على
جلوس كل شيخ بجانب عمود . فإذا خلا عمود من شيخ
يموت أو انقطاع ، عين شيخ الجامع الأزهر أستاذًا مكانه
ولو لم يكن من أهل مذهبه . ولا يقرأ أحد إلى عمود غيره
إلا بأذن من صاحبه . وقد يشترك فى العمود شيخان يقرأ
كل منهما فى وقت) ، واستقبل القبلة وقعد على الأرض أو على
كرسى من خشب أو جريد بحسب كثرة الطلبة وقتهم

(وقد كان الكرسى فى المبدأ خاصاً بشيخ الجامع الأزهر) ،
وتلتف الطلبة حوله على شكل حلقة ، متربعين على الأرض ،
ويبد كل منهم نسخة من الكتاب . فيبتدىء الشيخ بالبسملة
والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ، ثم يقرر لهم الدرس بأن يقرأ بنفسه أو يستقرئ أحد
الطلبة جملة من الكتاب الذى بين يديه ، ثم يأخذ فى تفسير
عباراته للطلبة . وللطالب الاستفسار عما غمض عليه فى أثناء
الدرس . وقد كان الغالب ألا يخرج المدرس فى شرحه عما
هو وارد فى الكتاب الذى بيده من الأمثلة وغيرها ،
ولذلك لم يحتج الطلبة إلى كتابة ما يسمعون من أستاذهم فى
مذكرة ، وإنما كانوا يقتصرون على السماع والمناقشة .

وإذا اضطر المدرس إلى زجر طالب لسوء خلق مثلاً
كان يقتصر غالباً على زجره بطريق التهريض .

وكان معظم المدرسين لا يلقون لطلبتهم إلا الحقائق
التي تستطيع أذهان معظمهم إساغتها (اللهم إلا فى المرحلة
الأولى من الدراسة حيث كان يحتفظ بتدريس مثل

الكفراوى فى النحو ، مع أنه من الواضح أن معلومات التلاميذ فى هذا الدور لا تسمح لهم بفهم حقائقه) . ومتى فرغ الأستاذ من قراءة الدرس ، ختمه بقراءة الفاتحة ، وعين لهم موضوع الدرس المقبل فى الكتاب ، ثم يقوم الطلبة فيلثم كل منهم يده ، ويطلب إليه صالح الدعاء .

وكان المدرسون يوجهون كل عنايتهم إلى الوجهة النظرية ، وإلى حشو الذهن بالمعلومات ، مغفلين أمر تطبيقها . فكافهم القانون الصادر فى ٢٠ من المحرم سنة ١٣١٤ هـ ترك تلك الطريقة الفاسدة وألزمهم بتمرين الطلبة على تطبيق العلوم التى يقصد من تعليمها الانتفاع بها عمليا كعلوم البلاغة وما إليها ، كما حظر على أولى الأمر أن يدعوا الطالب يشغل بعلم من علوم المقاصد (كعلم الكلام والاخلاق الدينية والفقه) قبل أن يحصل من وسائله على ما يمكنه من فهمه .

ثانيا - طلبة الازهر



جنسيات الطلبة: لم يخل الازهر الشريف في أى عصر

من عصوره من طلبة أجنب يتلقون به العلم مع اخوانهم المصريين . وذلك أن العناية الكبيرة التى بذلت بشأه فى بداية نشأته وفى زمن الظاهر بيبرس وغيره ، والأرزاق التى أجريت على طلبته ، ووجوده فى مدينة كانت ولا تزال أهم مدن العالم الاسلامى وأعظمها حضارة ، وما اشتهر عن القائمين بالتدريس فيه من سعة الاطلاع والانتقطاع للبحث والبراعة فى مختلف العلوم والفنون وخاصة مايمت منها الى الدين بصلة كل ذلك جذب اليه من سائر البقاع الاسلامية الوفود المختلفة ، فأمه الشامى والعراقى والنجدى واليمنى والمغربى كما أمه التركى والجركى والزنجبارى والحبدشى والهندى والأفغانى ، ووجدوا جميعا من حفاوة طلبته المصريين وأساتذته وأولى الامر فيه ما زاد من رغبتهم

في الإقامة به .

ولقد كان للأزهر الشريف في نفوس الأمم الإسلامية
 جمعاء مكانة كبيرة لاتعد لها مكانة أية مدرسة أخرى ؛
 وللمتخرج فيه لديهم منزلة سامية لايطمح الى مثلها أي
 متخرج في معاهدكم . كان الأجنبي اذا ما أتم دراسته بالأزهر
 وعاد الى بلاده ، موضعاً لثقة مواطنيه واجلالهم ، يصدعون
 بأوامره ، ويصغون لقوله ، ويعتبرونه حجة في مسائل دينهم
 ودنياهم ، وكفئاً للزعامة ، وأهلاً للمناصب الرفيعة . ولقد
 بلغ الأمر أن مجرد انتساب الرجل للأزهر كان كافياً في
 بعض الاقطار الإسلامية في سماع قوله واطاعة اوامره .
 فليس بغريب مع هذا كانه أن أثر كثير من الاجانب
 الرحلة اليه وطلب العلم به مستهينين في سبيل ذلك بالأم
 الغربية وهجر الامل والاطوان .

ديانتهم : على الرغم من انه لم يكن ثمة قانون صريح
 يحظر على غير المسلمين طلب العلم بالأزهر (لم ينص على

ذلك (الا حديثا) فانه لم يلتحق به من غيرهم الا افراد قليلون
تظاهروا بأنهم مسامون وغيروا اسماءهم الحقيقية . ومن
هؤلاء العلامة المنغاري جولد زهير (ولد باستيهلو سنبورج
سنة ١٨٥٠ وتوفي ببودابست سنة ١٩٢١ . كان أستاذ
الأدب العربي بجامعة بودابست . وله كتب كثيرة في
الأدب العربي والتاريخ الاسلامي أشهرها : « التعاليم
المحمدية » (الذي سمي نفسه الذهبي وواظب على طلب العلم
بالأزهر على كثير من شيوخه وخاصة الشيخ الأشموني .

نوعهم : — لم يلتحق بالأزهر إلا الذكور من الطلبة .
غير أنه قد سمع من ثقات قدامى المشايخ أنهم رأوا امرأة
كانت تواظب على الحضور فيه ، وأن بعض النساء كن
يحضرن كذلك من وقت لآخر . وهذا يدل على أنه لم يكن
محظورا على غير الذكور الحضور بالأزهر .

التحاقهم بالأزهر : كان الطلبة كما تقدم لك ينقسمون

قسمين : أجانب ومصريين .

أما الأُجانب فكان لكل طائفة منهم شروط وتقاليد خاصة في الالتحاق بالأزهر . ففي رواق المغاربة مثلاً ، كان يجتمع شيخ الرواق وتقيبه وبعض نابغى طلبته ويمتحنون من يريد الالتحاق برواقهم من مواطنيهم في القراءة فقط ، فإن أجاب قبل .

وأما المصريون فكان يشترط فيمن يريد الانتساب منهم ، أن تكون سنه خمس عشرة سنة على الأقل ، وأن يكون مأمماً بالقراءة والكتابة حافظاً لنصف القرآن على الأقل إن كان مبصراً وللقرآن جميعه إن كان كفيفاً . وكان يعهد إلى لجنة خاصة بأمر امتحانه . فإذا ما نجح أرسلته لطبيب الأزهر ليطعمه ثم يرسل إلى المشايخ الذين اختارهم للحضور عليهم ، وبعد التصديق منهم يقيد اسمه في دفتر الرواق الذي يريد الدخول فيه وفي سجل الأزهر .

هذا وكان بالأزهر ، فضلاً عن الطلبة المنتسبين ، طائفة كبيرة من الطلبة المتطوعين . وهؤلاء لم يكونوا مقيدين بأى قيد في انتظامهم بسلك المتعلمين . فإن حضور الدروس

بالأزهر كان مباحا لكل من يريد . غير أن الطالب المتطوع ما كان ليتمتع بشيء من الحقوق المادية والأدبية التي يتمتع بها زميله المنتسب ، وما كان يحق له أن يتقدم لامتحان من امتحانات الأزهر .

مجانيتهم : — ظل التعليم في الأزهر مجانيا من مبدأ نشأته الى الآن ، اللهم إلا في بعض عصور روى أنه كان يؤخذ فيها جعل مخصوص من الطالبة (ولم تثبت صحة هذه الروايات بعد) .

عددهم : — أحصى عدد المشتغلين بالعلم بالأزهر سنة ٧١٨ هـ فكانوا ٧٥٠ ، مابين عجم وزيالعة ومغاربة ومن أهل ريف مصر ، وفي سنة ١٢٩٢ هـ بلغ عددهم ١١٠٩٥ ، وفي سنة ١٣١٠ هـ كان عددهم ٨٢٥٩ ، وفي سنة ١٣٢٠ هـ كان عددهم ١٠٤٠٣ من بينهم ٦٤٥ طالب أجنبي (منهم ٢٦٤ من أهل الشام و ١٠٤ من الأتراك و ٥١ من طرابلس الغرب و ٢٨ من سنار بالسودان و ٢٧ من الجزائر و ٢٢ من مراکش

و ٢٥ من تونس والباقي أكراد وحباش وهنود و حجازيون وجاويون وافغانيون . . .) والباقي مصريون معظمهم من أهالى الريف و ترر يسير منهم من مدينة القاهرة نفسها .

امتيازاتهم الحربية : الإعفاء من الخدمة العسكرية :

كان هذا الاعفاء عاما لكل منتسب للأزهر ، ولو كان حديث الانتساب إليه . وقد استغل كثير من المصريين هذا الامتياز استغلال تدليس ، فكانوا يبعثون بأولادهم وأقاربهم إلى الجامع قبيل طلبهم للخدمة العسكرية ، ثم يخرجونهم بعد إعفائهم منها . فاضطرت الحكومة حينئذ إلى سن قانون خاص لا يعفى بمقتضاه من الخدمة العسكرية إلا الطلبة الذين تُقدم الأدلة على أنهم قد التحقوا بالأزهر لطلب العلم والذين تثبت مواظبتهم على تلقى الدروس مدة ثلاث سنوات على الأقل ، ويجتازون بنجاح امتحان الاعفاء من الخدمة العسكرية ويحصلون على شهادته التى تقدم لك الكلام عنها .

أرزاقهم المقررة : لم تخرج الأرزاق التي كان يمنحها
طلبة الأزهر في كل أيام السنة أو في بعضها عن الطوائف
الآتية :-

(الطائفة الأولى) الأئمة والملايس التي كانت تصرف
لجميع الطلبة أو لبعضهم في كل أيام السنة أو في بعضها . - فقد
روى أن الأمير الناصر (أحد أمراء المماليك) رتب للفقراء
المجاورين طعاما يطبخ كل يوم ، وأنزل للجامع قدورا من
نحاس جعلها فيه ، وأن قنصوه الأشرف رتب الخزيرة
(نوع من العصيدة باللحم) في شهر رمضان لجميع طلبة
الأزهر ، وأن قنصوه الغوري رتب في شهر رمضان من
كل سنة ٧٦٠ ديناراً تصرف على مطبخ الأزهر ومائة
قنطار من العسل وخمسمائة أردب من القمح ، وأن عبدالرحمن
كتبخدا رتب لمطبخه في أيام رمضان في كل يوم خمسة
أرادب من الأرز وقنطاراً من السمن وعدداً من الجاموس
وشيثاً كثيراً من الزيت والوقود ، وجعل للمجاورين في يومى
الاثنين والخميس من كل أسبوع طعاماً الذي يسمى « الهريسة » .

وقد انقطعت هذه الطائفة من الأرزاق قبيل القرن العشرين واستبدل بها أعواض مالية .

(الطائفة الثانية) الخبز الذى كان يعطاه عدد معين من الطلبة فى كل يوم وهو ما كان يسمى بالجراية . وكان عدد المستحقين لها محصورا فى وقف الواقف ، ومن زاد على ذلك العدد يظل منتظرا حتى يخلو له مكان فيها . وقد اشترط بعض الواقفين أن يقرأ مستحق الجراية فى أيام معينة من الأسبوع وفى أوقات محدودة جزءا أو أجزاء من القرآن ويهبها لأرواح الواقفين وأرواح أقاربهم . ولذلك كان المستحق لجراية فى مثل هذه الأوقاف يسقط حقه فى الأيام التى يتخاف فيها عن « الربعة » .

وأقل جراية كان يعطاها الطالب رقيق ونصف وأكثرها ستة أرغفة يوميا .

وقد ظلت هذه الطائفة من الأرزاق تجرى على الطلبة إلى عهد قريب ، ثم استبدل بها أعواض مالية .

(الطائفة الثالثة) المرتبات المالية . وكانت ريع أوقاف

موقوفة على عدد معين من طلبة كل رواق يُختارون على أساس الأقدمية . وكانت هذه المرتبات ضئيلة على العموم أقلها قرشان وأكثرها مائة قرش شهريا .

مصادر هذه الأرزاق : — كانت الأوقاف أهم مصدر

لهذه الأرزاق . وأول من وقف على الازهر الأوقاف ، كما ذكر المقرئى ، هو الخليفة الحاكم بأمر الله . ثم تبعه في ذلك كثير من الخلفاء والملوك والسلاطين والأمرء والأغنياء في مصر وفي غيرها من الاقطار الاسلامية (ومن أشهر من وقف عليه من غير المصريين محمد باى بن مراد باى حاكم ولاية تونس) . — وكان لأمرء الأسرة العلوية الكريمة وأميراتها القدر المعلى في هذا المضمار . فقد وقفت عليه الأميرة زينب هانم (كريمة محمد على باشا الكبير) وحدها أوقافا كثيرة لا يقل إيرادها عن عشرين ألف جنيه سنويا .

مساكن الطلبة : — أول من بنى مسكنا للطلبة هو

الخليفة الفاطمى العزيز بالله ، ثم أخذ من بعده الأمر

والوزراء والأغنياء من المصريين وغيرهم (وخاصة الأتراك
والمفاربة) يتبارون في تشييد الأروقة للمجاورين وتأثيثها
وفرشها . وجعلت مساكن للطلبة وألحقت بها مرافق للغسل
والوضوء ، وأخرى لطبخ الطعام ، ووصلت بنفس الجامع ، حتى
أن معظم الطلبة ما كانوا يحتاجون إلى الخروج من الأزهر
إلا نادرا .

وقد بلغ عدد أروقة الأزهر في أوائل القرن العشرين
تسعة وعشرين رواقا منها اثنا عشر رواقا للمصريين : رواق
الصهايدة ، البحيرة ، القيمة ، الطيهرسيه (وكان لسكان
مديرية الغربية) : الأقبغاوية (وكان لبعض مراکز الغربية
والممنوفية — وقد أقيم مكان هذا الرواق مكتبة الأزهر
ونقل طلبته إلى الرواق العباسي) ، الحنفية ، الفشنية ، معمر
(ويستحق الدخول فيه من لم يكن له رواق مخصوص من
أهل مصر) ، الشراقوة ، الحنابلة ، العباسي (وكان يشتمل
على كثير من الأروقة وتم تشييده في عهد الخديوي عباس
الثاني) ، زاوية العميان (ولا يسكنها إلا كفيفو البصر) . -

وما بقي من الأروقة كان للأجانب : رواق الحرمين ، دارفور ،
الشوام ، جاوه ، السلجمانية لأهل افغانستان ، المغاربة ، السنارية
لأهل سنار من السودان ، الأتراك ، اليمن ، الأكراد ، الهنود ،
البغدادية ، ذكارة صليح لأهل صليح من السودان ، البرابرة
لسكان أعلى الصعيد ، ولم يكن للفرس رواق بالأزهر .

وقد كان جل الطلبة - إن لم يكن كلهم - يسكنون
الأروقة حتى قبيل القرن العشرين ، إذ كثروا فأصبحت
لا تتسع لجميع المنتسبين إليها ، ولذلك اضطر كثير منهم إلى
السكنى خارج الأزهر .

وقد ألحق بالأروقة الحارات (والحارة شبه رواق غير
أنها تختلف عنه بعدم وجود محل للنوم بها) وبلغ عددها نحو
أربع عشرة حارة .

وقد كانت بعض الأروقة معتبرة في مبدأ نشأتها
مدارس مستقلة لها نظمها الخاصة بها . فمن ذلك رواق
الطبرسية ورواق الأقبغاوية . فقد جاء في خطط المقرئ
بصدد الرواق الأول مانصه : « هذه المدرسة من المدارس

الملحقة بالجامع الأزهر . . . أنشأها الأمير علاء الدين طبرس ، وجعلها مسجداً لله تعالى زيادة في الجامع الأزهر ، وقرر درسا بها للفقهاء الشافعية ، وأنشأ بجوارها مئذنة وحوض ماء سبيل ترده الدواب . وانتهت عمارتها سنة ٧٠٩ هـ ، وكان لها إمام راتب وكان فيها خزانة كتب . « . وقال بصدد الرواق الثاني مانصه : « هذه المدرسة بجوار الأزهر على يسرة الداخل إليه من بابه الكبير تجاه المدرسة الطبرسية ، أنشأها الأمير أقبغا ، وجعل بجوارها قبة ومئذنة ، وهي مدرسة مظامة ، ليس عليها من بهجة المساجد ولا أنس بيوت العبادة شيء ألبته . . . تم بناؤها سنة ٧٤٠ هـ ، ورتب لها الخدمة ، فكان لها إمام راتب ومؤذن وفراشون ومباشرون . . . » .

أثر هذه المنح : — قد كانت هذه المساكن التي خصصت لطلبة الأزهر ، والمرتبات التي كانت تجري عليهم ، من الأسباب التي زادت في إقبال الطلبة عليه من مختلف بقاع العالم الاسلامي ، وسهلت لهم التفرغ للعلم ، وكففتهم مشوكة

التفكير في أمورهم المعاشية . ولا يخفى ما لهذا من الأثر في حالتهم العلمية والخلقية ، فان الطالب متى كان مطمئن البال بشأن سكنه ومأكله وملبسه توفر على العلم والتحصيل وصين من شرور المدن وأهلها .

العناية بصحتهم : قد عنيت الحكومة المصرية في عهد
الخديو عباس الثاني بحالة الطلبة الصحية ؛ فأنشأت حول الأزهر الشوارع الواسعة ، وغيّرت ما أمكن تغييره مما كان غير موافق لقواعد الصحة . فأبطلت « الميضاة الكبيرة » التي كان يتراكم فيها قدر المياه ، واستبدل بها حنفيات تجري فيها المياه النقية النظيفة . واستبدلت بالقناديل الزيتية ، التي كانت تضيء الجامع ليلا ، مصابيح تضاء بغاز الاستصباح . وصارت حصره تغير كل ستة أشهر ، بعد أن كانت لا تغير إلا كل سنة . وعين له طبيب خاص يعرض عليه المرضى من الطلبة مجانا . وأقيمت به « أجزخانة » لصرف الأدوية لهم مجانا كذلك . وقد ارتقت حاله كثيرا من هذه الناحية في العصر

الحاضر كما هو معروف .

مواظبتهم : — لم يكن الطلبة ملزمين قانوناً بالمواظبة على حضور الدروس . ولكن كثيراً منهم كانوا يحرصون على المواظبة فيما بينهم من العلوم ؛ وخاصة صاحب الجراية أو المرتب منهم ؛ فانه كان مهتداً بانقطاع جرايته أو مرتبه أو بالفصل إذا غاب عن الرواق مدة طويلة بدون إذن من شيخه .

طائفة من عوائدهم : من العادات التي كانت مشتركة بين طلبة الأزهر جميعاً أنهم كانوا قبل حضور الدرس على شيخهم يطالعونه جماعة أو أفراداً حتي إذا حضروا الى أستاذهم كانوا على بينة مما سيق عليهم .

ومن عاداتهم أيضاً أنهم كانوا يشتركون في شراء الكتب العالية الثمن ويطالعونها معاً . وكانوا عند ختم الكتاب يأتون في حلقة الدرس بالمباخر والقيام الملائى بالطيب والعطر وبشيء من الفواكه وغيرها ، وبعد الختم يقرأ بعض الحاضرين شيئاً من القرآن الكريم ، ثم يرش عليهم ماء الورد ، وتنتشر

عليهم الفواكه ويحملون بعضها المنزل شيخهم . ولم تنقرض
هذه العادة من الأزهر إلا منذ زمن يسير .

وكان الأزهرى يحظر على نفسه الاطلاع على مذهب
غيره ، ولا يعنى إلا بمعرفة قواعد مذهبه .

ومن عاداتهم أنهم كانوا يخرجون طوائف طوائف
من الجامع صباح كل خميس فيذهبون خارج المدينة جهة
النيل للتنزه وغسل الثياب ولعب الكرة .

وكان الطالب يكن لأستاذه احتراماً وإجلالاً ، ويقبّل
يده قبل الدرس وبعده وكلما سلم عليه ، ويمتثل أمره ؛
وكان يحتفظ بعاداته هذه معه حتى بعد تخرجه .

وكان إذا مات أحد مشايخهم حزنوا عليه ثلاثة أيام ،
وأحيوا ذكراه ثلاث ليال كانوا يجتمعون في كل ليلة منها
حول العمود الذى كان يدرس عنده .

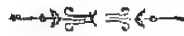
عدد المتخرجين منهم سنوياً : — قضى قانون الشيخ

العبادى المهدى المسنون سنة ١٢٨٨ ألا يتمتحن فى العام للشهادة

العالمية أكثر من ستة ، وأنه في حالة ما إذا زادت عرائض طالبى الامتحان على هذا العدد « نظر شيخ الجامع في موجبات الترجيح كالشهرة العامة وكبر السن » . وفى الحق إن عدد المتقدمين للامتحان التهاى سنويا ما كان يزد إلا نادرا على ذلك العدد المقرر ، على الرغم من كثرة طلبة الأزهر فى ذلك العهد . والسبب فى ذلك يرجع إلى أن كثيرا من الطلبة كانوا يتركون الدراسة بمجرد حصولهم على شهادة الإعفاء من القرعة . وبعضهم كانوا يتركونها بمجرد حصولهم على ما يظنونه كافيا من المعلومات ، فيرجعون إلى بلادهم قبل إتمام دراستهم . فما كان يتقدم للامتحان إلا راغبو التوظيف فى الوظائف القضائية أو فى وظائف التدريس .

وقد زاد عدد المتخرجين قليلا أوائل القرن العشرين ، فقد كان عدد المتخرجين سنة ١٩٠١ نحو عشرين عالما .

ثالثاً - الاساتذة



طوائفهم ومؤهلاتهم الدراسية : تقدم لك أنه قبل سنة ١٣٨٨ لم تكن ثمة مؤهلات خاصة مضبوطة تشترط فيمن يريد القيام بالتدريس بالأزهر ؛ وأن كل ما كان يعمل به الراغب في التدريس أنه كان يستأذن بعض أساتذته الذين أخذ عنهم ؛ وأنه قد ترتب على ذلك أن تصدر لهذا المنصب كثير ممن تعوزهم الكفايات اللازمة له ؛ وأن شيخ الجامع الأزهر المرحوم الشيخ المهدي العباسي أراد أن يضع حداً لهذه الحالة فاستصدر سنة ١٣٨٨ قانوناً يحظر من وقت صدوره على غير الحاصلين على شهادة العالمية تولي مناصب التدريس (١) .

ومن ذلك الحين كان المدرسون بالأزهر ينقسمون

قسمين : —

(١) انظر صفحة ٥٢ وتوابعها.

القسم الأول يتألف من الأساتذة الذين تولوا التدريس قبل سنة ١٢٨٨ أى قبل إنشاء شهادة العالمية . وقد أخذ عدد هم يقل شيئاً فشيئاً (لم يتجاوز عددهم سنة ١٩٠٢ تسعة وخمسين مدرساً) حتى انقرضوا .

والقسم الثانى يتألف من المدرسين الذين عينوا بعد سنة ١٢٨٨ ، أى الحاملين لشهادة العالمية . وهؤلاء كانوا ينقسمون ثلاثة أقسام :

١ — علماء الدرجة الأولى . وكان لهم الحق أن يدرسوا ما شاءوا من العلوم والكتب .

ب — علماء الدرجة الثانية . ولم يكن لهم الحق إلا فى تدريس الكتب المتوسطة ، فما كان يجوز لهم تدريس ما هو أكبر من الأشمونى فى النحو مثلاً .

ج — علماء الدرجة الثالثة . وكانوا مقيدى بتدريس

الكتب الصغيرة .

وكان يجوز لحامل الدرجة الثانية أو الثالثة أن يطلب إعادة امتحانه بعد مضى مدة أقامها سنة لينال درجة أعلى من

درجته . وكان يسوغ كذلك لمجلس الأزهر أن يرفع ، بدون إعادة امتحان ، أحد المشايخ من الدرجة التي هو بها إلى ما فوقها متى ثبتت له كفايته وبرهن على نشاط في التدريس .

وكان بجانب هؤلاء العلماء أساتذة متخرجون في غير الأزهر ومعينون لتدريس العلوم الحديثة به كالجغرافيا والحساب والانشاء . وقد بلغ عددهم سنة ١٩٠٢ نحو عشرين مدرساً .

امتيازاتهم : — كان للعلماء امتيازات كثيرة منها : —

- ١ — الركوب في قطارات السكة الحديدية مع أتباعهم بدون أجر . وأول من منحهم هذا الامتياز سعيد باشا الذي أنشئت السكة الحديدية بالقطر المصري في عهده . وقد ظلوا يتمتعون بهذا الامتياز حتى سنة ١٨٧٦ . وإذ ذاك أدخلت عليه بعض تعديلات ، فأعفوا من نصف الأجرة فقط .
- ٢ — كانوا يعفون من القيام بخفارة جسور النيل أيام

فيضائه (العملية ، السخرة) .

٣ - كانوا يمنحون « كساوى تشريفة » يلبسونها فى المواقب الرسمية، ونياشين يعلقونها على صدورهم فى الأعياد والحفلات . وأول من منحهم هذه « الكساوى » هو سعيد باشا فى سنة ١٢٧٥ هـ .

وكسوة التشريفة كانت عبارة عن فرجية وشريط مقصب يوضع حول العمامة ، وكانت فى المبدأ درجة واحدة ، ثم استحسن الخديوى إسماعيل باشا جعلها ثلاث درجات : أولى وثانية وثالثة حسب درجة العالمية الحاصل عليها الأستاذ .

٤ - إذا توفى أحدهم عطلت الدراسة حدادا عليه ثلاثة أيام ، وأمر المؤذنون فى الأزهر وفى كثير من مساجد القاهرة بعيد وفاته أن يصعدوا على المنائر ويقرءوا بأصوات مرتفعة قوله تعالى : « إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا » وما يليها من الآيات الكريمة ، فيحضر الناس من جميع أحياء القاهرة لتشيع جنازته ، ويصلى عليه فى الأزهر ، حيث تنشد القصائد وتلقى الخطب فى تأيينه .

وبعد دفنه يحتفل بذكراه بجوار عموده الذي كان يدرس عنده ثلاث ليال يجتمع فيها كثير من العلماء والطلبة .

عددهم : — كان عددهم محدودا تقريبا بعدد أعمدة الأزهر التي كان يباح التدريس بجوارها . فقد كان عددهم سنة ١٩٠٢ :

٥٩ من النظام السابق لسنة ١٢٨٨ ؛

٢٥١ من النظام اللاحق لسنة ١٢٨٨ ، منهم ٧٢ حنفية و ٧٧ مالكية و ١٠٠ شافعية و ٢ حنبلية .

(يلاحظ أن عدد أعمدة الأزهر كلها ٣٧٥ عمودا منها ٢٠٢ في المقصورتين) .

مرتباتهم : — كان مرتب العالم ذى الدرجة الأولى مائة وخمسين قرشا ، وذى الدرجة الثانية مائة قرش ، وذى الدرجة الثالثة خمسة وسبعين قرشا شهريا (أما مرتبات المدرسين المعينين قبل سنة ١٢٨٨ فكانت أرق قليلا من هذه المرتبات) .

وكانوا يمنحون بجانب هذه المراتب الشهرية مقررات أخرى بعضها يومية وبعضها سنوى . فالمقررات اليومية هي أقراص الخبز المعروفة بالجراية * وما كان ينقص نصيب كل عالم مدرس منها عن عشرة أرغفة فى اليوم * وأما السنوية فهي التى كانت معروفة « ببدل الكساوى ومثمن الغلال » (وهو العوض المالى الذى أحل محل الطائفة الأولى من الأرزاق التى سبق الكلام عنها ^(١)) .

فبدل الكسوة كان أقله اثنى عشر جنيهاً وأكثره ثلاثين جنيهاً فى السنة ، ومثمن الغلال كان مجلس إدارة الأزهر يقسمه على من يراهم مستحقين له من المدرسين * ومع ضآلة هذه المراتب فإنها كانت كافية لحاجاتهم وحاجات أسرهم * فقد كانوا بعيدين عن زخارف الحياة ، متمسكين بمبادئ الزهد والتقشف ، متفانين فى العبادة وتحصيل العلم وتعليمه * وقد ظلت هذه المراتب على حالها حتى آخر العقد الأول من القرن العشرين * .

ومصادر أرزاق العلماء هي بعينها مصادر أرزاق الطلبة

التي تقدم الكلام عنها .

هذا ، وأول من أجرى الأرزاق على العلماء ورتبها لهم هو العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي . ذكر المقرئ أن « الوزير أبا الفرج يعقوب بن يوسف سأل سنة ٣٦٥ الخليفة (العزيز بالله) في صلة جماعة من الفقهاء ، فأطلق ما يكفي لكل واحد منهم من الرزق ، وأصرهم بشراء دار وبنائها ، فبنيت بجانب الجامع الأزهر . فاذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع ، وتحلقوا فيه بعد الصلاة إلى أن تصلى العصر (كذا) ، وذلك لقراءة الفقه على مذهب الفاطميين . وكانوا (الفقهاء) شيعة إسماعيلية ، وكانت عدتهم خمسة وثلاثين رجلا . وخلع عليهم العزيز بالله يوم عيد الفطر وحملهم على بغال » .

علاقهم بالسياسة وبالحكام : لم يحاول الأمراء والحكام الاستعانة بالعلماء لنصر سياستهم . فقد كانوا على يقين أن العلماء يربثون بأنفسهم عن أن يكونوا آلة في أيديهم لترويج مبادئهم . وكل ما كانوا يحاولون عمله ، هو استمالتهم اليهم ،

وتقريرهم منهم، لينتفعوا بطريق غير مباشر بمقامهم ومكانتهم في نفوس الناس، وليظهروا أمام مرءوسيههم بظهر الحذب على الدين، والحرص على إجلال أهله وحفظه شرائعه. على أن الجسم الفقير من العلماء كانوا يعملون جهدهم على مجانبة الحكم والرؤساء، والابتعاد عنهم، والزهد عما لهم من مال وجاه، لعلمهم أن ذلك أليق بشرفهم، وأضمن لعزة مقامهم.

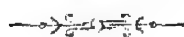
ولم يكتف العلماء بذلك، بل تعالوا إلى درجة جعلتهم المسيطرين على الملوك والأمراء، المرشدين لهم، المراقبين لأعمالهم. فقد كان عباس الأول يحضر بنفسه — على علو قدره — لاجتماع الأزهر، ويتقدم لسماع درس الشيخ الباجوري، فلا يقوم له الشيخ، كأن القادم فرد عادي من أفراد الطلبة. وذكر السيوطي في كتابه حسن المحاضرة أنه «لما تولى الشيخ عز الدين بن عبد السلام القضاء، تصدى لبيع أمراء الدولة من الاتراك، وذكر أنه لم يثبت عنده أنهم أحرار... فباعهم ذلك، فعظم الخطب عندهم، والشيخ مصمم، لا يصحح لهم بيعا ولا شراء ولا نكاحا، وتعطت مصالحهم

لذلك . وكان من جملة نائب السلطنة ، فاستشاط غضبا .
فاجتمعوا وأرسلوا اليه . فقال نعتد لكم مجلسا وننادى عليكم
لبيت المال . فرفعوا الأمر الى السلطان . فبعث اليه قلم يرجع .
فأرسل اليه نائب السلطنة بالملاطفة فلم يفد فيه . فانزعج
النائب وقال : « كيف ينادى علينا هذا الشيخ ويبيعنا ، ونحن
ملوك الأرض ؛ والله لأضربنه بسيفي هذا » .
فركب بنفسه في جماعة ، وجاء الى بيت الشيخ ، والسيف
مسلول في يده ، فطرق الباب ، فخرج اليه ولد الشيخ ، فرأى
من نائب السلطنة ما رأى . فعاد وشرح لوالده الحال . فما
اكثرث لذلك ، وقال : « يا ولدي ، أبوك أقل من أن يقتل في
سبيل الله » . ثم خرج ، فحين وقع نظره على النائب ، يبست
يد النائب وسقط السيف منها ، وأرعدت مفاصله . فبكى
وسأل الشيخ أن يدعو له ، وقال : ياسيدي وأى شيء تعمل ؛
قال : أنادى وأبيعكم ؛ فقال : فقيم تصرف ثمننا ؛ قال : في
مصالح المسامين ؛ قال : فمن يقبضه ؛ قال : أنا . فقم ما أراد ،
ونادى على الأمراء واحدا واحدا ، وغالى في ثمنهم ، ولم يبيعهم

إلا بالثمن الوافى ، وقبضه وصرفه فى وجوه الخير . . . » .
 فمن كانت سلطتهم على الأمراء قد بلغت الى حد أنهم
 يستطيعون التصرف فى رقاب بعضهم وتجريدهم من حقوقهم
 المدنية ، لا يعقل أن يكونوا آلة فى أيديهم لترويج أغراضهم
 وتنفيذ أهوائهم فى السياسة .



رابعاً - ادارة الأزهر



مشيخة الأزهر : لم يكن للأزهر قديماً شيخ يتولى
 رياسته ، بل كان يتولاه ولاية عامة ملوك مصر وأمراءها
 ويباشرونه الداخلية مشايخ المذاهب الأربعة ومشايخ الأروقة
 (وكان شيخ الرواق ينتخبه طلبة الرواق أنفسهم . وكان
 لمشايخ أروقة الاتراك والشوام والمغاربة والصعايدة تقدم على
 من عداهم من مشايخ الأروقة الأخرى * وكانون يعطون
 عند توليهم مناصبهم ، دون سائر زملائهم ، خلعاً خاصة
 كانت تتألف من كرك أخضر يلبسونه فى موكب

حافل يحضره كثير من العلماء) .

وفي القرن الحادى عشر الهجرى استحسن ان يعين له
رئيس عمومى يدير شؤونه التعليمية وغيرها يلقب بشيخ
الجامع الازهر ، وينتخب ممن اشتهروا بالفضل والعلم من
كبار العلماء أياً كان مذهبه . وكانت العادة فى بادئ الأمر
أن شيخ الأزهر لا يعزل إلا بالموت ؛ حتى أنه لما عجز الشيخ
إبراهيم الباجورى عن القيام بأعباء وظيفته لشيخوخته
حوالى سنة ١٢٧٥ هـ ، أمر سعيد باشا أربعة مشايخ من أكابر
العلماء أن يديروا حركة الجامع بالنيابة . وظل هذا التقليد
معمولا به حتى سنة ١٢٨٧ ، إذ عزل الشيخ مصطفى العروى
من مشيخة الجامع .

وكان الخديوى هو الذى يعين شيخ الجامع الأزهر ،
ويخلع عليه عند تعيينه خاعة سنية هى كرك ثمين يعطاه
بحضور العلماء فى موكب كبير فى القصر الخديوى ، وكان فى
اختياره للشيخ يحترم غالبا إرادة كبار العلماء فى الأزهر
ويندعن لمشورتهم . ومازال — حتى اليوم — تعيين شيخ

الجامع الأزهر حقا من حقوق الجالس على عرش مصر .
وقد تولى مشيخة الأزهر الى الآن تسعة وعشرون
شيخا ، هم :-

١ - الشيخ محمد عبدالله الخرشى المالكي ، تولى المشيخة
حوالى سنة ١٠٩٠ هـ إلى سنة ١١٠١ هـ .

٢ - الشيخ محمد النشرفى المالكي ، ١١٠١ - ١١٢٠ هـ .

٣ - الشيخ عبد الباقي القلبنى المالكي ، ١١٢٠ - ؟ .

٤ - الشيخ محمد شبن المالكي ، من ؟ إلى ١١٢٦ هـ .

٥ - الشيخ أبراهيم بن موسى الفيومى المالكي ،

إلى ١١٣٧ هـ .

٦ - الشيخ عبدا الله الشبراوى الشافعى ، الى ١١٧١ هـ .

٧ - الشيخ محمد بن سالم الحفنى الشافعى ، الى ١١٨١ هـ .

٨ - الشيخ عبدالرؤف السجيني الشافعى ، الى ١١٨٢ هـ .

٩ - الشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمنهورى الشافعى ،

الى ١١٩٢ هـ .

١٠ - الشيخ أحمد العروسى الشافعى ، الى ١٢٠٨ هـ .

- ١١ — الشيخ عبد الله الشرقاوى الشافعى ، الى ١٢٢٧ هـ .
- ١٢ — الشيخ محمد الشنوائى الشافعى ، الى ١٢٣٣ هـ .
- ١٣ — الشيخ محمد أحمد العروسى الشافعى ، الى ١٢٤٥ هـ .
- ١٤ — الشيخ أحمد بن على الشافعى ، الى ١٢٤٦ هـ .
- ١٥ — الشيخ حسن بن محمد العطار الشافعى ، الى ١٢٥٠ هـ .
- ١٦ — الشيخ البرهان القويسنى الشافعى ، الى ١٣٥٤ هـ
(وكان كفيف البصر) .
- ١٧ — الشيخ أحمد بن عبد الجواد الشهير بالصائم
السفطى الشافعى ، الى ١٣٦٣ هـ .
- ١٨ — الشيخ ابراهيم البيجورى الشافعى ، الى ١٣٧٧ هـ .
- ١٩ — الشيخ مصطفى العروسى الشافعى ، عزل عن
منصبه سنة ١٣٨٧ هـ .
- ٢٠ — الشيخ محمد المهدي العباسى الحنفى ، اعتزلها
سنة ١٣٩٩ هـ .
- ٢١ — الشيخ محمد الانبائى الشافعى ، اعتزلها سنة ١٣٠٠ هـ .
- ٢٠ ب — الشيخ محمد المهدي العباسى ، تولاها ثانية من

سنة ١٣٠٠ إلى سنة ١٣٠٤ .

٢١ ب - الشيخ محمد الانبأبى الشافعى ، تولأها ثانية من سنة ١٣٠٤ إلى سنة ١٣١٣ (مرض سنة ١٣١٢ فمأين الشيخ حسونه وكألا ، وظل قائماً بشؤون الأزهر بتلك الصفة حتى استقال الشيخ الانبأبى سنة ١٣١٣) .

٢٢ - الشيخ حسونه النواوى الحنفى ، اعترلها سنة ١٣١٧ هـ .
٢٣ - الشيخ عبد الرحمن القطب الحنفى النواوى ، من ٢٥ المحرم سنة ١٣١٧ إلى ٢٥ صفر سنة ١٣١٧ هـ (وكان مريضاً مدة هذا الشهر) .

٢٤ - الشيخ سلأم البشرى المالكى ، تولأها فى ٢٨ صفر سنة ١٣١٨ واعترلها يوم الأأد ٢ من ذى الحجة سنة ١٣٢٠ .
٢٥ - السأد على بن محمد البألاوى المالكى نقيب الأشراف ، استقال يوم الثلاثاء ٩ من المحرم سنة ١٣٢٣ فأأفل يوم السأب ١٢ منه .

٢٦ - الشيخ عبد الرحمن الشرىبى الشافعى ، تولأ يوم الأأد ١٣ المحرم سنة ١٣٢٣ ، ثم استقال فأأفل يوم الأرباء

١٩ من ذى الحجة سنة ١٣٢٤ .

٢٢ ب الشيخ حسونه النواوى (المشيخة الثانية) ،
استقال سنة ١٣٢٧ .

٢٤ ب الشيخ سليم البشرى (المشيخة الثانية) .

٢٧ - الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى المالكي .

٢٨ - الشيخ محمد مصطفى المراغى الحنفى .

٢٩ - الشيخ محمد الأحمدي الظواهري الشافعي ،

استقال في المحرم سنة ١٣٥٤ الموافق ابريل سنة ١٩٣٥ .

٢٨ ب الشيخ محمد مصطفى المراغى الحنفى ، عين في

المحرم سنة ١٣٥٤ هـ الموافق ابريل سنة ١٩٣٥ م .

مجلس ادارة الأزهر الشريف : ظل مشايخ الأزهر

يستقلون بإدارته حتى سنة ١٣١٢ ، وحينئذ رأى ولاية الامور ،

عملا باقتراح الشيخ حسونه النواوى ، تأليف مجلس

ادارة يعين شيخ الأزهر في مهمته . فتألف هذا المجلس

من خمسة أعضاء يرأسهم شيخ الجامع الأزهر نفسه . وأعضاء

أول مجلس كانوا ثلاثة من كبار أساتذة الأزهر ، وهم الشيخ

سليمان العبد الشافعي ، والشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي
 المالكي ، والشيخ أحمد البسيوني الحنبلي ، واثنين من علماء
 الأزهر الموظفين بالحكومة وهما الشيخ محمد عبده مفتي الديار
 المصرية ، والشيخ عبد الكريم سامان عضو المحكمة الكبرى .
 وقد خُـوِل هذا المجلس الحق في أن يصدر قرارات
 بشأن مناهج الدراسة وطرقها ونظام التعليم وشؤون الطلبة ،
 وصرح له كذلك أن يأذن لغير علماء الأزهر بتدريس
 العلوم الحديثة ، وأن يعين كتباً لجميع العلوم ، على ألا يجوز
 تدريس كتاب خارج عما قرره إلا بأذن منه .

وقد أحدث هذا المجلس نهضة علمية كبيرة ، وقام
 بإصلاحات جديلة في الأزهر ، نذكر له منها تخصيصه ستمائة
 جنيه مكافأة للناغبين في العلوم الحديثة وحضره تدريس
 الحواشي والتقارير في أربع السنوات الأولى .

وقد أدخلت من بعد ذلك عدة تعديلات على حقوق
 هذا المجلس وعلى هيئة أعضائه وعددهم وطرق تعيينهم
 حتى انتهى إلى ما سمي الآن بمجلس الأزهر الأعلى .

فهرست

(الموضوع)	(الصفحة)
مقدمة	(٢ - ٦)
وظيفة الأُزهر	٢
بناء الأُزهر وما حدث فيه	٣ - ٥
تسميته بالأُزهر	٥، ٦
الأُزهر باعتباره مسجداً	(٧ - ١١)
الأُزهر باعتباره معهداً عاماً	(١٢ - ٩٣)
اتخاذ المساجد معاهد للتعليم	١٢ - ١٥
أولاً - مواد الدراسة في الأُزهر وما يتصل بها	(١٥ - ٦٢)
تطور مواد الدراسة في العالم الإسلامي	١٥ - ٢٠
اختيار مواد الدراسة بالأُزهر	٢٠ - ٣٦
الكتب الدراسية بالأُزهر	٣٦ - ٤٤
المتون والشروح والخواشي والتقاير	٤٤، ٤٦
مكتبة الأُزهر	٤٦ - ٤٨
مراحل التعليم وتوزيع المواد عليها	٤٨، ٤٩
الشهادات والامتحانات	٥٠ - ٥٦
أوقات الدروس وعددها في اليوم	٥٦، ٥٧
مدة الدراسة	٥٧، ٥٨

(الموضوع)	(الصفحة)
المساحات	٥٩٠٥٨
طريقة التدريس	٦١-٥٩
ثانياً — طلبة الأزهر	(٦٢-٧٨)
جنسياتهم	٦٢ ٦٣
ديانتهم	٦٣ ٦٤
نوعهم	٦٤
التحاقهم بالأزهر	٦٤-٦٦
مجانيتهم	٦٦
عددهم	٦٦ ٦٧
امتيازاتهم الحربية	٦٧
أرزاقهم المقررة	٦٨-٧٠
مصادر أرزاقهم	٧٠
مساكنهم	٧٠-٧٣
أثر هذه المنح	٧٣ ٧٤
العناية بصحتهم	٧٤
مواظبتهم	٧٥
طائفة من عوائدهم	٧٥ ٧٦
عدد المتخرجين منهم سنوياً	٧٦ ٧٧

(الموضوع)	(الصفحة)
ثالثا — الأساتذة	(٧٨-٨٧)
طوائفهم ومؤهلاتهم الدراسية	٧٨-٨٠
امتيازاتهم	٨٠-٨٢
عددهم	٨٢
مرتباتهم	٨٢-٨٤
علاقتهم بالسياسة وبالبحر	٨٤-٨٧
رابعا — إدارة الأزهر	(٨٧-٩٣)
مشيخة الأزهر	٨٧-٨٩
مشايخ الأزهر	٨٩-٩٢
مجالس إدارة الأزهر	٩٢، ٩٣

❦ انتهى ❦

